الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي _ ميلة _

معهد: الآداب واللغات

ميدان اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

صورة الريف في رواية "ريح الجنوب"

لـ: عبد الحميد بن هدوقة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس_نظام جديد_

تخصص الأدب العربي

من إعـــداد الطالبتين:

بلطرش صباح

بودن وداد

إشراف الأستاذة:

حيدر اسمهان

السنة الجامعية 2010 – 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {العلق/1} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {العلق/2}

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {العلق/3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {العلق/4} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا

لَمْ يَعْلَمْ {العلق/5})

دعاء

اللـــهـــم لا تجعلنـــا نُصـــاب بالغـــرور إذا نجحنـــا و لا باليـــأس إذا أخفقنـــا و ذكـــرنـــا أن الإخفـــاق هـــو التجـــربـــة التـــي تسبـــق النجـــاح .

اللـــهـــم إذا أعطيتنـــا نجـــاحـــا فـــلا تـــأخـــذ اعتـــزازنـــا بـــكـــرامـــتنـــا وتـــقـــبـــل دعـــاءنـــا

اللـــهـــم إغننـــا بالعلـــم و زينـــا بالحلـــم و أكـــرمنـــا بالتقـــوى و جملنـــا بالعافية

اللـــهـــم انفعنـــا بـــمـــا علمتنـــا و علمنـــا مـــا ينفعنـــا و زدنـــا علمـــا

اللـــهـــم ارزقنـــا علمـــا نـــافعـــا و رزقـــا طيبـــا و عمـــلا متقـــبـــلا

اللـــهـــم أوزعنـــا أن نشكـــر نعمتـــك التـــي أنعمـــت علينـــا و علـــى والـــدينـــا و أن نعمـــل صـــالحـــا تـــرضـــاه و أدخلنـــا بـــرحمتـــك فـــي عبـــادك الصـــالحيـــن

ربنـــا تقبـــل دعـــاءنـــا .

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الواحد القهار مكور الليل على النهار و الصلاة و السلام على خير من وضعت قدماه الثرى و على آله وصحبه الغر الكرام.

بادئا: الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي جزيل عطائه و كرمه أن وفقنا لانجاز هذا العمل المتواضع.

عملا بقوله تعالى في مترله: "لا تنسوا ألولي الفضل منكم "

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "**حيدر اسمهان**" ونسجل اعترافا بكل و اعتزاز بالجهد الذي بذلته طيلة فترة البحث بارك الله فيكم وأدامكم في خدمة العلم.

وإذا كانت كلماتنا تعجز عن تقدير جهدكم فإننا نسأل الله عز وجل أن يجازيكم عنا خير الجزاء ويديم عليكم الصحة و العافية.

الإهـــــداء

أولا وقبل كل شيء نتقدم بأبجل إهداء إلى معلم البشرية- محمد صلى الله عليه وسلم-

أما أرق الكلام وأطيبه أهديه إلى روح أبي الزكية وأتمنى له فسيح الجنان ،كما أهديه لأطيب قلب وأحن صدر إلى ملكة الإحساس المرهف**"أمي"**.

إلى أخي وولي أمري حسان وزوجته نادية وأولاده،إلى أختي نصيرة وزوجها وأولادها،إلى أخي الحنون بوبكر،إلى جهيدة وزوجها وأولادها،إلى زيدان وخطيبته إلى نبيل وخطيبته،إلى أميرة ويوسف وجميع الأهل والأحباب.

إلى أم وداد العزيزة ووالدها الكريم إلى جميع أخواتها:سليم وزوجته وأولاده،سفيان،نورالدين،رياض،رضوان،حسام،فوزية،نجاة،ياسمينة وخطيبها.

دون أن ننسى جميع الصديقات،والأساتذة وجميع طلبة المركز الجامعي (الدفعة الأولى).

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل: حضور ابن هدوقة في الرواية الجزائرية 05

الفصل الأول: ابن هدوقة و الراهن الجزائري

- نشأته 10

- أهم مؤلفاته 11

- تجربته القصصية 14

- أسلوبه القصصي 16

- تجربته الروائية 18

- الأدب من منظور عبد الحميد بن هدوقة 21

الفصل الثاني: قراءة سيميائية في رواية ريح الجنوب

- ملخص مضمون الرواية 24

- سيميائية العنوان..... 28

- سيميائية المكان وعلاقته بالشخصيات 32

الفصل الثالث: صورة الريف (المجتمع)

- اجتماعيا..... 47

- دينيا 50

- تاريخيا (الثورة الزراعية) 52

خاتمة 56

قائمة المصادر و المراجع 59

في هذه الدراسة التي بين أيدينا سنتناول موضوعا، كان محط اهتمام الكثيــر مــن الدارسين و المهتمين بفن الرواية، ونخص بالذكر الرواية الجزائرية التي عالجــت عــدة موضوعات وتطرقت لعدة مجالات تمس فئات متنوعة من مجتمعنا الجزائري، فموضــوع بحثنا هذا هو " صورة الريف في رواية "ريح الجنوب" لــ: عبد الحميد بن هدوقة" فلطالما عودنا هذا الروائي الجدير بالثقة أن يلهمنا برواياته الرائعة،التي كانت ولازالــت صــبا لكثير من الدراسات، وقد حاولنا تطبيق تقنيات متعددة كانت نتاج دراسات مختلفــة علــى هذه الرواية التي بين أيدينا.

ولعل ما دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو طبيعة المكان الذي تدور فيه أحداث هذه الرواية (الريف)، الذي يعتبر من الأماكن المهمة في بلادنا والتي مرت بظــروف قاســية أثناء وبعد الاحتلال الفرنسي، مما دفع أيضا بأدبائنا الجزائريين إلى التطرق لمثــل هــذه الأماكن لغناها بالأحداث و الأوضاع التي يجب أن تغيب عن تفكير أي جزائري، وكيــف لها أن تغيب عن أفكارنا نحن كجزائريين، وكقراء لتاريخ بلادنا مثل هذه الأحداث خاصة وهي تمس أضعف المناطق في هذه البلاد، إذ طرأت عليها عدة أنظمة سياسية، اجتماعية، واقتصادية، كانت السبب في تأزم أحوال سكانها وتخلفهم، فالثورة الزراعيــة أو النظــام الإقطاعي انعكست نتائجه سلبا على هذه الأرياف وبلورت طريقة معيشتها.

وفي بحثنا هذا أردنا أن نطل على محتويات هذه الرواية بشكل مختلف قليلا عــن الدراسات التي رأيناها فيما سبق، لكن ذلك تطلب منا مجهودا نستطيع أن نقول عنه كبيرا إلى حد ما، حيث واجهتنا عدة مصاعب حتى اســتطعنا أن نحصــل علــى المصــادر و المراجع الملمة ببحثنا و التي تخدمه بشكل واضح وصحيح.

لقد قمنا في بحثنا هذا بتجزئة الدراسة المعتمدة إلى ثلاث فصــول ســبقها مــدخل يتحدث عن "حضور ابن هدوقة في الرواية الجزائرية" و التي أدت به إلــى تعــدي هــذا المجال إلى فنون أدبية أخرى.

فالفصل الأول عبارة عن فصل نظري يتضمن بطاقة تعريف خاصة بابن هدوقــة، وأهم المحطات التي مر بها، كما تتضمن أيضا بعض التفاصيل الأدبية التي نهجهــا فــي مختلف نتاجاته الروائية وغير ذلك، لنتطرق بعد ذلك لفصلين تطبيقيين يحتوى الأول على دراسة سيميائية عن الرواية، باعتبار السيميائية درسا لسانيا مهما لا يجب المرور عليــه مرور الكرام، بل لابد من التعرف على هذا المنهج و الوقوف عنده وتطبيقه على نمــاذج أدبية تستحق ذلكن ولنا الحظ في أن تعرفنا على هذا الدرس السميائي المهم. وهذا باعتبار أننا لا نحسن تطبيقه بصفة جيدة على النصوص التــي كانــت تصــادفنا فــي مشــوارنا الدراسي، ونرجو أننا وفقنا ولو بشكل بسيط في توصيل نموذج صــحيح فــي التطبيــق السيميائي لكل من يحالفه الحظ في الاطلاع عل هذا البحث المتواضع، لأن الكثيــر مــن الطلبة الباحثين و القراء يريدون تطبيق منهج من المناهج على أعمالهم وبحــوثهم، لكــن تبقى السيميائية من أهم المناهج التي يجدونها في متناولهم، وهي السبيل الأنســب لخدمــة بحوثهم.

ففي رواية "**ريح الجنوب**" مثلا تفرض عليك محتوياتها أن تطبق هذا المنهج كيــف لا و الرواية تزخر بالدلالات و الإيحاءات وأهم الأدوات التي تحتم علينا أن نقوم بدراستها سيميائيا.

أما الفصل الثاني وبمساعدة أستاذة الإشراف. كانت الوجهة مختلفة _نوعــا مــا_ حيث قمنا بإلقاء نظرة على ريف قرية "**ريح الجنوب**" وإعطائها صورة واضــحة عنهــا، ومما فيها من قيم وضوابط تتحكم في هذه القرية، فالقيمة الاجتماعية كان حضورها قويــا في هذه الرواية لأنها تمثل مجموعة من العادات و التقاليد التي تسودها، كما تتمثــل فــي طريقة العيش الذي يسلكه أصحاب هذه القرية ومسارهم الاجتماعي، أما القيمــة الثانيــة فتتمثل في أهم البصمات الدينية و الطقوس التي كان يقوم بها سكان الريف. و الاعتمــاد عليها كشيء يصعب التخلي عنه.

أما القيمة الثالثة فتتمثل في القيمة التاريخية و التي تضم الثورة الزراعية و النظام الإقطاعي اللذين كانا من الأسباب التي دفعت بن هدوقة إلى كتابة هذه الرواية، لما له من نتائج واضحة على الجزائريين وخصوصا على الأماكن الريفية القروية.

وأخيرا فإن هذه الدراسة خطوة أساسية من مناهج الدراسة التي تسعى لإنتاج تراكم معرفي يضبط حدود الظاهرة المدروسة وطرق اشتغالها.

لقد استطاعت الرواية الجزائرية أن تضع بصماتها ضمن الناتج الروائي العربي وخاصة الجزائري، بفضل ما قدمته من محاولات وجهود استطاعت من خلالها أن تحتل الصدارة بين الأجناس الأدبية الأخرى، ولعل هذا النجاح الباهر الذي أدى بالرواية الجزائرية وخاصة بأدبائنا الروائيين إلى احتلال هذه المكانة المرموقة، هي الحياة المعقدة التي عاشوها، ومحاولة خروجهم من المرحلة البدائية التي كانت تبدو فيها نوع من السذاجة الواضحة، "وكان من نتائج هذا التطور الكمي و الكيفي أن دخلت رواياتنا مجال الدراسات الأكاديمية من أوسع الأبواب"[1]، بعد العقبات التي تعرضت لها في بداية مشوارها، حيث ظهرت عدة روايات جزائرية مكتوبة باللغة العربية، استطاعت أن تكون مصباحا لكثير من الدراسات باعتمادها تقنيات و أساليب فنية جديدة، وهذا أمر ليس بعجيب أن تصل الرواية الجزائرية إلى هدا المستوى الرفيع خاصة وأن " هذا الجيل هو جيل تحد حقيقي، ظهر في عز عطاء ومجد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في فترة تحول وطني كبير تقوده سلطة ثورية تؤمن بضرورة الإصلاحات الاجتماعية و الاقتصادية"[2]، وابن هدوقة من بين هذا الجيل المكافح في سبيل الارتقاء بالأدب الجزائري.

فالرجال العظماء هم تلك الفئة التي تعرف كيف تصنع القوة بمحض إرادتها، إذ أنهم يجابهون ظلم الناس لهم وتعسفهم بإرادة لا تلين، وصبر لا ينفذ، ويتصدون لطغيان الذات ويتنكرون لها، كما أنهم يحتقرون مؤامرات الحاذقين بإنجازاتهم التي لا تنصب ولا تفنى بفناء أجسادهم.

"الشهيد الراحل بن هدوقة أحد هؤلاء، لقد جابه الرجل ظل المنتقدين المتشدقين القاعدين الذين لا يعملون، ويؤديهم أن يتفوق الآخرين، لقد صمد الرجل لكل تلك الأفعال

---

[1] كتاب الملتقى الرابع ،عبد الحميد بن هدوقة بحوث وأعمال، وزارة الاتصال و الثقافة لولاية برج بوعريريج، ص 178.

[2] المرجع نفسه، ص 178-179

وقاوم بإرادة تدك الجبال، وبعزيمة لا تلين ولا تقهر"[1]، فقد لمع اسمه في الأدب الجزائري وفي أدب الرواية _ بصفة خاصة _ فما من قصة أو رواية كتبها إلا ووصل صداها بسرعة فائقة إلى قرائنا، وعلى رأس هذه الإبداعات الناجحة رواية "**ريح الجنوب**" سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعون التي تعتبر من البدايات الرئسية "للرواية العربية الفنية الجزائرية"[2]تتناول في طياتها صورة الريف الجزائري وبكل أوضاعه، ومعاناته أثناء الثورة الجزائرية من سنة ألف وتسع مائة وأربعة وخمسون، وبعدها تقريبا على جميع المستويات _ بأسلوب فني وقالب روائي متكامل_

فلم يتوقف ابن هدوقة عند هذه الرواية فحسب، بل واصل إبداعه الروائي فكتبة رواية بعنوان "نهاية الأمس سنة ألف وتسعمائة و خمسة و سبعون، وأخرى بعنوان "بان الصبح" سنة ألف وتسعمائة و ثمانون، فهما " روايتان ترسمان بمهارة لوحة بانورامية، ذات روافد عديدة لحياة الجزائر الاشتراكية، عارضتين شخصيات مرسومة بدقة، بعيدة عن التجديد الذهني ومتحفظة بثقلها الواقعي وبمضامينها الممتد في حاضرها".[3]

و الواضح في هاتين الروايتين أن بن هدوقة انتقى شخصياته و الأحداث التي تدور حولها هذه الشخصيات بما يتوافق و المجتمع الذي تدور فيه أحداث هاتين الروايتين " عرف كيف يتصيد الالتفاتات النفسية وكيف يؤلف صورة حية عن المجتمع ويؤرخ لجيل كامل بآماله وآلامه وما تنطوي عليه نفوس الناس من خميرة طيبة تدعو إلى حب الخير والتطور "[4].

---

[1] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الثاني،قراءات ودراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، ص 31.

[2] كتاب الملتقى الرابع ،عبد الحميد بن هدوقة _بحوث وأعمال _مديرية الاتصال والثقافة لولاية برج بوعريريج ، ص 180.

[3] المرجع نفسه، ص 182.

[4] المرجع السابق، ص182-183.

لقد تواصلت أعمال ابن هدوقة الروائية بعدما سبق له وأن أبدع في هذه الروايات خاصة عندما صور لنا الحياة الجزائرية بكل معاناتها وآلامها وآمالها، نحو التطلع إلى المستقبل فقد حاول بعد كل تلك النجاحات أن ينتقل إلى حياة جديدة غير الحياة التي اعتدنا عليها في الروايات السابقة، ويتجلى ذلك بوضوح في روايته الأخرى "**غدا يوم جديد**" حيث أن " أغلب الروائيين الجزائريين قد أولوا أهمية لثنائية الريف و المدينة في بناء أعمالهم الإبداعية، وذلك من الناحيتين الفنية و المضمونية باعتبار الرواية أكثر الفنون ارتباطا بالواقع وبالرؤى الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية و الثقافية"[1].

و مما تبين لنا أيضا من خلال تجربة قراءتنا لرواية "غدا يوم جديد" أن بن هدوقة "صاغ تجربة **'مسعودة'**، انطلاقا من عنصر الزمن. فهذه المرأة أنطقها زمن طارئ وعاشت حياتها في زمن صعب، وهي تفكر في كتابة قصة حياتها لتخطط لزمن لاحق"[2].

ولا ننسى ذكر أن قبل هذه الرواية ظهرت رواية أخرى بعنوان " الجازية و الدراويش" سنة ألف وتسعمائة و ثلاثة وثمانون.

لم يقتصر عمل عبد الحميد بن هدوقة على كتابة الرواية فحب بل تعدى ذلك إلى بقية الأجناس الأدبية الأخرى، كفن القصة القصيرة مثلا الذي أعطى له جانبا مهما من عمله الأدبي، فصدرت له بعض القصص نذكر على سبيل المثال "مجموعات" الكاتب وقصص أخرى"، "الأشعة السبعة"، "ذكريات وجراح" والتي تتسم بطابع الصراع و المواجهة، ومحورها الأساسي هو الإنسان الذي يتفاعل أحيانا مع محاولات الوعي،

---

(1) المرجع السابق، ص 9.

(2) كتاب الملتقى الخامس ،عبد الحميد بن هدوقة أعمال وبحوث، وزارة الاتصال و الثقافة ولاية برج بوعريريج، ص21.

وأخرى مع مضامينه، فنجد تثمينا قائما لمختلف مستويات التواصل مع الآخر"[1]، إذ عالج هذه القصص مجموعة من الأحداث التي تخص الواقع و الإنسان في مختلف جوانبه الحياتية (النفسية و الثقافية، و التاريخية، و السياسية) هذه القصص الأخيرة مهدت لبعض الدراسات عند بعض الأدباء و "انطلاقا من المجموعة القصصية الأخيرة "ذكريات وجراح" لعبد الحميد بن هدوقة يمكن التنبؤ إلى حد ما بطبيعة خطابها السردي، كالمنظور و الصيغة، وانعكاساتها على الكيفية التي تقدم بها الشخصيات و الأحداث، و الطبقة التي يستعيد بها الكاتب صوته الذي ضاع بين الأصوات السردية في الروايات المختلفة"[2].

وباعتبار المثل تعبيرا عن الحياة الاجتماعية فهو يستهل أشكال التعبير الأدبية الأخرى، كالقصص و الشعر و الأساطير و الألغاز وغيرها، ويصور لنا حالات واقعة وبصفة مباشرة تعبر عن شرائح وعينات اجتماعية، يتكون من مجموعها النسيج المجتمعي الذي يقوم أساسا على العلاقات القائمة بين الناس في تعاملهم، فقد صدر لابن هدوقة في هذا الشأن كتاب يضم مجموعة من الأمثال الشعبية، من مختلف الأماكن و المحطات العربية سواء أكانت باللغة الفصحى أم بالدارجة ومما ورد في هذا الكتاب نذكر:

" إذا كبرت العين الحاجب فوقها، ويقال الابن يترفع عن والديه ويقال أحيانا فبمن كنت سبب نعمته فتباهى بذلك"

– إذا الكلام من لفضة. الصمت من الذهب، يقال في الحث على الصمت وتجنب الثرثرة وهو مثل شائع في كل الجهات و اللغات، ويشبه مثلا أخر سيأتينا في محله "الفم المزموم ما يدخلوه الدبان" [3]

---

[1] كتاب الملتقى الخامس عبد الحميد بن هدوقة أعمال وبحوث، وزارة الاتصال و الثقافة ولاية برج بوعريريج، ص 13.

[2] كتاب الملتقى الثالث، عبد الحميد بن هدوقة، أعمال و بحوث، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، دار هومة 1999، ص 69.

[3] عبد الحميد بن هدوقة: أمثال جزائرية، دار القصبة للنشر ، أكتوبر 2007، الجزائر ، ص 31.

1) نشأته:

ولد عبد الحميد بن هدوقة في قرية المنصورة، إحدى قرى ولاية سطيف في الشرق الجزائري سنة ألف وتسعمائة و خمسة و عشرون، أخذ تعليم اللغة العربية على يد أبيه بينما أخذ تعليم الفرنسية في مرحلة الابتدائية في قريته "وسيكون في هذا التزامن في تلقى اللغتين أثره العميق في تشكيل الانفتاح الثقافي في تجربة ابن هدوقة في مراحلها اللاحقة"[1].

انتقل إلى قسنطينة لمواصلة مرحلته المتوسطة. ليعرج بعدها إلى مرسيليا سنة ألف وتسعمائة و تسعة و أربعون، لمواصلة مشواره الدراسي في مجال الإخراج الإذاعي، وبعد عودته إلى أرض الوطن عمل مدرسا لمدة عام واحد بمدينة قسنطينة، ليغادر بعدها إلى تونس الشقيقة تحت ضغط سلطة الاحتلال الفرنسي بسبب نشاطه المناوئ حيث مكث فيها مدة أربع سنوات، نال خلالها الشهادة في الأدب من جامع الزيتونة، وشهادة التمثيل العربي من معهد فنون الدراما في تونس.

بدأ الكتابة في الخمسينيات، وكان عمله الأول ديوانا شعريا بعنوان "حامل الأزهار" نشر في عام ألف وتسعمائة و اثنان وخمسون، نشط في العمل السياسي، و الفعاليات النقابية و التجمعات الممثلة كحركات التحرر، وخلال إقامته في تونس أودع السجن بسبب نشاطه الصحفي، ثم فر من السجن مع مجموعة من رفاقه، وبعد اندلاع الثورة الجزائرية سنة ألف وتسعمائة و أربعة و خمسون عاد إلى أرض الوطن.

كان بن هدوقة على اتصال دائم بالثورة الجزائرية وقادتها الميدانيين، وكتب عن تلك التجربة في الصحف و المجلات التي كانت تصدر آنذاك في تونس. كما عمل فيما

[1] كتاب في جريدة، عدد رقم 115، الطابق السادس،شارع شوران الروسة، بيروت، لبنان(5أدار 2008)

بعد في الإذاعة التونسية حيث عمل بعد الاستقلال مديرا للبرامج في هيئة الإذاعة و التلفزيون، ثم مديرا في الإذاعتين العربية و القبائلية.

أهم مؤلفاته:

له مؤلفات شعرية ومسرحية وروائية عديدة منها: من روائع الأدب العالمي (الجزائر ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين).

- الجزائر بين الأمس و اليوم، دراسة نشرت تحمل اسم وزارة الأخبار للحكومة الجزائرية المؤقتة سنة ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين.
- ظلال جزائرية (مجموعة قصص) نشرت في بيروت عن دار الحياة سنة ألف وتسعمائة وستون.
- الأشعة السبعة (مجموعة قصص) صدرت في تونس عن الشركة القومية للتوزيع و النشر سنة ألف وتسعمائة واثنان وستون.
- الأرواح الشاغرة (ديوان شعر) صدر في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وسبعة وستون.
- **ريح الجنوب (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وواحد وسبعون.**
- الكاتب وقصص أخرى (مجموعة قصص) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وأربعة وسبعون.
- نهاية الأمس (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وخمسة وسبعون.

- بان الصبح (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وثمانون.
- الجازية و الدراويش (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانون.
- قصص من الأدب العالمي (مجموعة قصص ترجمها الكاتب و اختارها من الأدب العالمي) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانون.
- النسر و العقاب (قصص للأطفال بالألوان) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وخمسة وثمانون.
- قصة في ايركوتسك (مسرحية سوفيتية مترجمة) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة وستة وثمانون.
- دفاع عن الفدائيين (دراسة مترجمة عن عمل قام به المحامي فيرجيس) نشرت في بيروت سنة ألف وتسعمائة وخمسة وسبعون، وسلمت هذه الدراسة إلى منظمة التحرير الفلسطينية.
- غدا يوم جديد (رواية) صدرت في الجزائر سنة ألف وتسعمائة واثنان وتسعون أمثال جزائرية، صدرت في الجزائر، عن الجمعية الجزائرية للطفولة سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعون.

وما يمكن قوله أن "عبد الحميد بن هدوقة نشأته في الأوساط الريفية قد أكسبته معرفة واسعة بنفسية الفلاحين وحياتهم، أنتج روايات عديدة تناولتها الإذاعات العربية المختلفة"[1].

وبعد كل هذه المجهودات الجبارة و الواعدة توفي عبد الحميد بن هدوقة الروائي الجزائري سنة ألف وتسعمائة وستة وتسعون، تاركا وراءه كل هذه المؤلفات و الأعمال التي كانت ولازالت وستبقى دوما خالدة في ذهن قراءه المهتمين بالأدب الجزائري عامة.

(1) rihablkalimah.culture forum.net ,743 topic.

تجربته القصصية:

يعد عبد الرحمان بن هدوقة أحد المجددين في مجال الفن القصصي وذلك يرجع إلى اطلاعه على أجمل الروائع العالمية في هذا المجال، وتأثره بأقطاب الأدب العالمي و العربي، وثقافته المزدوجة باللغتين العربية و الفرنسية، ويصنفه الدارسون ضمن قائمة الكتاب الواقعيين لارتباطه الشديد في كل أعماله الإبداعية بقضايا وطنه وأمته، وهذا تطور نوعي لدى الأديب من معالجة للحالة الفردية إلى تركيبة الوضع الإنساني المعقدة للجماعة الفقيرة، و التي التزم بمشكلاتها، وهذه التركيبة بحد ذاتها موضوع اعتبار وتقدير، زيادة عن امتلاكه القصة لموضوعها ضمن رؤية إنسانية صريحة.

وحرصه "بل إلحاله على الموضوع، يستثير في المتلقي خبايا خبرته ويستعرضه ضمن مدارك التاريخ، أي مباشرة غاية القصة القصيرة إزاء ما يدور في الواقع ضمانا لتحقيق وظيفتها" [1] وفي ذلك خروجنا عن زمن القصة نفسه و اللجوء إلى ما يسعف الموضوع، عبر تراكم الهموم في من يكتب عنهم.

ولا يمكن أن نفهم أسباب هذا التوجه إلا من خلال فهم الاتجاه العام للأدب الجزائري، بمراحله المختلفة _ وخلال الفترة التي عاشها الأديب_ حيث اعتمدت الواقعية مذهبا واتجاها فنيا أطر الأدب الجزائري _وللملاحظة فقط_ إن أنضج ما كتب عن الثورة جسدته مرحلة ما بعد الثورة أي مرحلة الاستقلال.

وقد حاول الأديب عبد الحميد بن هدوقة استقطاب الواقع الجزائري بكل ما يعج به من متغيرات (اجتماعية، سياسية، ثقافية و اقتصادية) من ناحية، ومواكبة الأدب العربي من ناحية أخرى، فقد كان يحز في نفسه ذلك التخلف الذي يعانيه الأدب الجزائري في

[1] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الثاني،إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج،دار هومة، ص 33

مجال القصة و الرواية و المسرح، بالمستوى نفسه الذي كان يحز في قلبه ما يعانيه الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار، كما كان لبعده عن الديار أثره الكبير، فأبدع قصصا كثيرة في هذا المجال، كما واكب بقلمه الأحداث المؤلمة التي كان يجتازها أشقاؤه بالبلد الشقيق تونس، يقول الأدبي "لقد عشت هذه الأحداث من الداخل كما عاشها الشعب التونسي، وأحسست بها كما أحسها رجل الشعب البسيط باعتبارها قضية تحرير قبل كل شيء"[1].

- ونشر بذلك أعمالا قصصية كثيرة هناك، حيث رأي النور ثاني مجموعة قصصية الأشعة السبعة سنة ألف وتسعمائة و واحد وستون حيث أعيد طبعها بالجزائر المستقلة سنة ألف وتسعمائة و اثنان وستون، سبقتها مجموعة الثالثة "الكاتب وقصص أخرى" سنة ألف وتسعمائة واثنان وسبعون، كما نشر الأديب قصصا متنوع في مجلة "الشهاب" التي كانت تصدرها وزارة الداخلية للحكومة الجزائرية المؤقتة، كما تشير إليه مقدمة الطبعة الثانية بمجموعة "الأشعة السبعة".
- وبذلك يكون الأديب، وبعض رفاقه في الدرب و الآلام وقد قدموا للأدباء الشباب دعما معنويا وفنيا ساعدهم على ممارسة العمل إلا بداعي في هذا المجال، وسوف لن نقف عند هذا الموضوع البيوغرافي، "لأن الأديب _في اعتقادنا_ لم يعد نكرة بل يكنها مطلقا على الساحة الأدبية الجزائرية و المغاربية، و العالمية، إذا ما علمنا أن أكثر أعماله ترجمت إلى أزيد من أحد عشر لغة أجنبية (الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الروسية، البولونية، الهولندية، التشيكية، الصربية، السلوفينية، الصينية، الإسبانية)[2].

---

[1] ينظر، مقدمة رواية " غدا يوم جديد" مجموع محاضرات الملتقى الوطني الثاني، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، دار هومة ، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص35.

أسلوبه القصصي:

إذا تطرقنا لأسلوب بن هدوقة القصصي يقودنا إلى التذكير بأهم القصص التي ألفها وهي "ظلال جزائرية"، "الأشعة السبعة"، "الكاتب وقصص أخرى"، وهناك "قصص من الأدب العالمي وهي مجموعة قصص ترجمها الكاتب واختارها من الأدب العالمي، صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة و ثلاثة وثمانون"، وله أيضا " النسر و العقاب ط وهي عبارة عن قصة للأطفال بالألوان صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة ألف وتسعمائة و ستة وثمانون.

فابن هدوقة " يعد القاص الأول في هذه المجموعة من الكتاب الجزائريين المعاصرين و الأمر يتعلق هنا بخمسة منهم في دراستنا هذه"[1]، وذلك من حيث معجمه الثري، ولغته الشاعرية، وتشبيهاته الأنيقة وغيرها، فالظروف التاريخية هي التي تحكمت في مضمون بن هدوقة "فجعلته وطنيا ولم تجعله اجتماعيا، كما كانت تحكمت في مضمون أحمد منظور فجعلته اجتماعيا ولم تجعله وطنيا"[2].

إلا أن ذلك لا يعني أن الإنسان الاجتماعي أنه إنسان غير ملتزم، لكنه لا يختلف عن المضمون الوطني كثيرا وذلك من حيث الارتقاء و الإحساس النبيل بالشعب فالصور التي اعتمدها بن هدوقة اتسمت في معظمها بالشاعرية و الرقة فهي " تقترب من النزعة الرومانتيقية الحادة طورا، و الخفيفة طورا آخر ولكنها في معظم أحوالها لا تقترب من الواقعية التي لاحظناها في أساليب السائح ومنور و الفاسي"[3].

---

[1] عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، طبع المؤسس الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية ، الجزائر 1990، ص 205.

[2] المرجع نفسه، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 175.

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن أسلوب ابن هدوقة أقرب إلى الشعر منها إلى النثر القصصي، و الأمر الذي جعل الحدث ثقيل الخطى، و الشخصيات أشبه بـــدمى جميلة منها كائنات حية.

فأسلوب بن هدوقة "أكاد يحي محافظ إلى حد بعيد يميل في بعـــض أطـــواره إلـــى محاكاة طه حسين، ولاسيما في بدايات بعض القصص كقوله في مطلـــع قصـــة "الأوجـــه الخلفية" كان نحيفا طويلا كالظل تلف جسمه..." [1].

[1] عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية الجزائر 1990، ص 173.

تجربته الروائية:

من هنا يظهر صدق تجربة "عبد الحميد بن هدوقة" حيث استطاع تشريح وضع مرفوض فليا وقالبا وعلى كل المستويات، كما توصل إلى أن يرى "وراء وقائع الحياة اليومية وظاهرتها، اللوحة العامة للحركة وصراع مختلف القوى الاجتماعية"[1] فمن خلال الإقطاعي "**ابن القاضي**" و الراعي "**رابح ونفيسة**" نموذج المرأة البورجوازية الصغيرة المتجدرة مستقبلا من جهة التقدم، و من خلال العجوز "**رحمة**" ذاكرة الثورة الوطنية بحسها الشعبي ووعيها البسيط بكل أحلامها وتناقضاتها، يدفعها ابن هدوقة إلى توقع وضع أحسن، يكون بدون شك مخالفا للوضع الأول وعلى كافة الأصعدة فكانت بذلك الثورة الزراعية، الحلم الذي توج صراعات "**رابح**" الراعي و"**نفيسة**" التي كانت قطعة ثمينة في يد أبيها "ابن القاضي" وجزءا من الأملاك الخاصة التي تدرأ ربحا، ولعل هذا هو الذي يجعل من روايته كرواية "**ريح الجنوب**" إنجازا فنيا هاما، وأضاف إلى الرواية العربية في الجزائر لبنة في إطار خلق وترسيخ القيم الثورية الجديدة وتدمير الموروث البالي المتخلف وبطبيعة الحال فهذا لا يشفع " لابن هدوقة أخطاءه في رواية "**نهاية الأمس**" و التي تعتبر تراجعا عن مواقع كان قد صنعها لنفسه حيث أقدم على كتابة "**ريح الجنوب**" وعسى أن تأتي روايته الأخيرة "**بان الصبح**" التي لم تشر بعد بشيء جديد"[2].

فالموضوعات الطويلة العريقة التي تناولها عبد الحميد بن هدوقة "سمحت له بان يخلق طبائع بشرية" حيث يعتبر عمله الأخير "نهاية الأمس" تراجعا عن مواقع سبق للأديب المذكور أن احتلها بشرف في رائعته "**ريح الجنوب**" ذلك الإنجاز الفني الذي أضاف إلى قائمة النتاج الجزائري الفكري وإلى الواقعية الانتقادية عملا جادا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ويكفي أنها كانت نبوءة صافية مثلما كانت ثلاثية محمد ديب "ففي

---

[1] ينظر سوتشكوف بوريس: المصائر التاريخية للواقعية، مجموع محاضرات الملتقى الوطني الثاني،ص17.

[2] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،ط1،1986، ص 102-103.

الوقت الذي تنبأت في الأولى بالثورة الزراعية تنبأت الثانية بالثورة التحريرية الكبرى، وهذا أمر طبيعي جدا"[1].

لغة ابن هدوقة الروائية:

إن لغة الكاتب تتميز بالبساطة و السهولة والدقة، كما تتميز بفصاحتها وخلوها من العذابة وكذا الألفاظ الصعبة، وكثيرا ما يستمد معجمها من فضاء الرواية، كفضاء القرية أو الدشرة في رواية "**ريح الجنوب**"، أو فضاء المدينة في رواية "**بان الصبح**"، فيختار لكل فضاء ما يناسبه: الألفاظ الخشنة الدالة على قسوة الطبيعة وعنفها في الأول، والألفاظ الرقيقة العذبة، التي تناسب البيئة الحضارية للمدينة.

وغالبا ما يتكئ الكاتب على الجمل الفعلية القصيرة، في نصوص رواياته، لتجسيد أفعال شخصياته وأفعالهم، وقد تطول جملة أحيانا، بطغيان السرد على الحوار.

ولعل ما يلفت النظر أكثر في روايات ابن هدوقة كلها، هو أنها تعتمد على الفصحى الوسطى، المقربة من أوساط المثقفين، فهي لا ترتفع إلى حد الإفراط، أو التقعر اللغوي، ولا تسف أو تنزل إلى الركاكة أو العامية. فحتى الحوار الذي يجري بين الشخصيات البسيطة، ذات المستوى الثقافي البسيط، لم يجره بالعامية، كالحوارات التي دارت بين العجوز "**رحمة**" و"**خيرة**" و"**ابن القاضي**" ... في رواية ريح الجنوب، اصطنع لها لغة فصحى بسيطة، انعكست بصدق في مشاعرها وأفكارها البسيطة، وقد اتضح الأمر أكثر في رواية "**بان الصبح**" التي تبين فيها الفرق واضحا بين مستويين لغويين: أحدهما بسيط بساطة **(الشيخ علاوة وزوجته بحرية)** و الآخر عال دقيق وعميق، يتناسب مع المستوى الجامعي لكل من "**دليلة، نعيمة، نصيرة، ورضا**".

---

[1] المرجع نفسه، ص 93.

"وبهذا أسند الكاتب لكل شخصية لغتها الوظيفية التي اكتسبتها من واقعها وثقافتها"[1]

وعلى العموم فإن لغة ابن هدوقة (إما في بنيتها السردية أو الحوارية) تميزت بأسلوبها الفصيح السهل النقي، وقد يحدث أن يستخدم بعض العبارات العامية، أو بعض الأمثال الشعبية، أو بعض المقاطع من الشعر الملحون، لكن ذلك لا يخل بفصاحة لغته ولا بنقاوتها، لأن الكاتب في هذه الحالة، يلجأ إما إلى تفصيح الظواهر السابقة، أو إلى توظيفها توظيفا فنيا بارعا، لا يعكر صفاء الفصحى ولا يخدش جمالها، وإنما يزيدها حسنا ونقاء، وقد شهدت لغة ابن هدوقة عبر مساره الروائي، تطورا ونقلة نوعية، فقد انتقلت من الواقعية في روايات **"ريح الجنوب"، "نهاية الأمس"، "وبان الصبح"** إلى الرمزية و الشعرية في رواية "**الجازية و الدراويش**" التي انتقل فيها الكاتب إلى لون روائي جديد، تمثل في الواقعية السحرية" التي استلهم فيها فن الرسم و الموسيقى، ليشكل لوحات فنية عجائبية، من خلال لغة فنية جميلة، تأسر القارئ وتسحره"[2].

كما كان نصيب الشعرية واضحا، في روايته الأخيرة "**غدا يوم جديد**" حيث تميزت هذه الأخيرة بتحكم كبير في تقنية السرد المعتمد على اللولبية أو الدائرية التي تميز بها السرد في هذه الرواية، يتقدم فيها الكاتب خطوتين إلى الأمام، ليعود إلى الوراء خطوة، ثم يستأنف تقدمه من جديد بالطريقة نفسها.

---

[1] ينظر يحيى بعطيش: الخصائص اللغوي في الرواية الحديثة ، كتاب الملتقى الدولي الرابع، عبد الحميد بن هدوقة للرواية، وزارة الاتصال و الثقافة، برج بوعريريج ،دار هومة،2000، ص 158.

[2] كتاب الملتقى الدولي الرابع،عبد الحميد بن هدوقة للرواية، ص 158.

الأدب من منظور عبد الحميد بن هدوقة:

إن كل عمل إبداعي لابد له من منظور يؤسس عليه، فباختصار إن "المنظور رؤية الكاتب لوظيفة الرواية ومقاله الجمالي، أي هو جواب عن الأسئلة التالية: لماذا أكتب؟ ماذا أكتب؟ وكيف أكتب؟ و المنظور عادة يأتي سابقا على العمل الإبداعي"[1].

فالروائي لا يصنع المنظور بنفسه، لكن يبقى الإبداع الشخصي يختلف من أديب لآخر، فعبد الحميد بن هدوقة ينتمي إلى منظور معين لكن ذلك لا يعني أنه صاحب الفضل في تأسيس هذا المنظور بل إنه يكتب عادة للدفاع عن قضية معينة" وهذا يعني أن عبد الحميد بن هدوقة ينتمي إلى تيار الأدب الملتزم، وهو تيار وإن تبلور أكثر في العالم المعاصر بعد قيام الاتحاد السوفيتي وانتشار فكرة الصراع الطبقي بين البروليتاريا و الرأسمالية، إلا أننا نجده واضحا مند القرن الخامس ق.م عند أفلاطون ..." [2].

وهناك من ربط الأدب بمبدأ "الخير" لكن ذلك يؤدي إلى تبلور خارج النصوص الإبداعية، أي في إطار أنظمة فكرية ليس لها طابع أدبي. فعبد الحميد بن هدوقة بصفته روائيا تقدميا، يؤكد العلاقة بين فائدة التغيير الاجتماعي و الأدب، إذ يجب على الأديب أن يكون للقيم العليا في المجتمع الذي ينتمي إليه، وأن يقدم صورة معرفية أدبية صادقة عن الواقع، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى تغيير هذا الواقع. بحكم أن الأديب يتأثر ويؤثر في مجتمعه "فالكاتب إذن بالنسبة لعبد الحميد بن هدوقة ليس مجرد فنان أو مجرد عالم يصف

[1] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الثاني، قراءات ودراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص25.

الواقع، بل هو صاحب رسالة و مسؤولية اجتماعية، ولهذا نجده يتكلم عن تشعب المسؤوليات التي على الكاتب أن يتحملها"[1].

وانخرط بن هدوقة ضمن رؤية أدبية في إطار منظور إيديولوجي عالمي لا يعني ذلك أن الكاتب في نظره مفصولا عن مجتمعه، لكن ذلك يعني أن عالمية الأدب و إنسانيته تكمن في واقع الكاتب، ولا يمكن أن تكون إلا من خلالها، فالمجتمع هو الموضوع الطبيعي بالنسبة للكاتب الملتزم، ويبدو أن مسألة الالتزام في الأدب، في نظر عبد الحميد بن هدوقة، أمر لا مفر منه، عندما يتعلق الأمر بالكاتب العربي يحكم انتمائه لعالم متخلف ويعاني من أشكال الانحطاط المختلفة.

فشخصيات بن هدوقة في مجموعته الروائية تعكس أشكال الصراع الموجودة في المجتمع كصراع التقدم و التخلف، الاستغلال الموجود بين المرأة و الرجل فمثلا في "**ريح الجنوب**" مثل لنا "**نفيسة**" تلك الطالبة المتمردة على حياة المرأة الريفية، و في مقابل ذلك "**ابن القاضي**" الإقطاعي الاستغلالي، وغيرها من الشخصيات النموذجية لمختلف أشكال الصراع في مختلف الروايات فابن هدوقة كرس جهده لطرح قضايا المجتمع الجزائري خاصة في فترة ما بعد الاستقلال، وهذا هو الكاتب الملتزم الذي يكرس قلمه لخدمة مجتمعه دائما وأبدا.

[1] ينظر، يعيد علوش: الرواية و الإيديولوجية في المغرب العربي، مجموع محاضرات الملتقى الثاني، قراءات ودراسات في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص 26.

ملخص مضمون الرواية:

يتضح لنا من خلال قراءتنا "**لريح الجنوب**" الكثير من القضايا التي تتعلق بالأرض **(الوطن و المرأة)** وبنضال أفرادها من اجل عيش حياة مستقرة هنيئة كما تعالج الدوافع الشخصية و التصرفات التي تحرك الإنسان وتعرض صراعاته مع الطبيعة ومع ماضيه ومحاولته التفوق على نفسه، ويتجلى ذلك من خلال شخصية البطلة التي تحاول تنساق إلى ما تريد، لكنها فشلت في النهاية لان الظروف كانت أقوى منها.

تصور لنا _ **ريح الجنوب**_ معاناة فتاة جزائرية ريفية، انتقلت من القرية إلى العاصمة من أجل الدراسة، ولكنها عادت إلى القرية أثناء إجازتها في صيف حار وريح جنوبي لافح، وقد ازدادت عليها الصعوبات و الضغوط، خاصة في أمر زواجها المعروض طبعا لمصلحة خاصة، فتحاول الفرار، فتعجز عن ذلك وبتعرضها للسعة ثعبان.

عالج الأديب موضوع المرأة و رحلة صراعها من أجل التقدم ورفضها لعادات مجتمعها وعادات أسرتها، فهي تنحني عن وصاية الأب وتقف مهاجمة العادات و التقاليد وهذا ما أملته عليها ثقافتها، ورغم هذا التشدد و التعصب فهي لا تستطيع التحرر من أسرتها. ومن منطق الماضي المتمثل في أبيها الذي تعتبره شخصا انتهازيا الذي زوج ابنته من أجل الحفاظ على أملاكه "فالأبناء هم الحل" على حد تعبيره، ومن خلال هذه القضية طرح المؤلف قضية الأرض وارتباط الفلاح الجزائري بها.

فقد كانت الشخصية البطلة رافضة لواقعها ووضعها الحالي فكانت تخاطب أمها التي لا محل لها في قضيتها، قالت لها (قولي له لن أتزوج ولن أنقطع عن دراستي، سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال) ثم جرت في (غضب عائدة إلى حجرتها) فالحجرة عالمها التي تحتمي فيه، فهي مسجونة في أفكارها و في جسدها، ولو كانت الشخصية

البطلة شخصية إيجابية لصارحت أباها وناقشته مشكلتها، فهي مسلحة بالعلم و الثقافة، وتستطيع إقناعه بموقفها.

ولما اشتدت أزمتها حاولت الهروب من القرية بحثا عن الفرج و الانفتاح ولكنها حتى بهذا الحل السلبي لم تتوصل إلى صفها، فقد لسعها ثعبان.

ولم تستطع التخلي عن يأسها، وأن هذا الضعف في الشخصية الذي عقها عن الهروب، ولما رجعت إلى وعيها عادت أدراجها إلى منزلها ... (بعد أن كانت تعتزم السفر إلى الجزائر في هاته الليلة، ولكن نجد كل ما وقع، لم يعد ممكنا هذا السفر...) فهي تحاول دائما البحث عن عالم الانفتاح متمثلا لنا في المدينة، فهي تحس بالانغلاق في قريتها وهي في مقارنة دائمة بينهما فتقول عن حريتها وحرية أخيها (لأنه يستطيع الذهاب إلى السوق أو الخروج إلى حيث أراد أما أنا فمند جئت من الجزائر وأنا سجينة ...).

وأحيانا أخرى تحاول أن تكون منفتحة بالتمرد على الدين، فقد نصحتها أمها بأن تصلي فرددت في نفسها (من الفتاة التي تصلي وهي في سني)، أما أمها فترجع تمردها لسجادتها أولا، أو لاقتناعها الذي سيطر على أعماقها أو إلى الثقافة الفرنسية التي تعلمتها (إن الفرنسية التي تعلمتها ستحيدها لا محالة عن الطريق السوي).

فقد اجتهد الأديب في تصوير أجواء القرية من خلال مواقف بعض الشخصيات مثل شخصية العجوز التي تصنع الفخار وترسم على الأواني الفخارية فما من منزل في القرية إلا وفيه لمسات العجوز الموهوبة، فالأديب مشدود إلى شخصيات القرية وبساطتها فهو يتعاطف مع أهلها وهذا ظهر من خلال أسلوبه.

و الواقع أن السلبية التي اتصفت بها شخصية البطلة، تعتبر مقبولة حين تكون دافعا لإثارة انفعالنا وثورتنا على الأوضاع. فهي بهذا تكون سببا للوعي ودافعا للتغيير في

الواقع. وأما إذا كانت سلبية لا تثير فينا هذا كله فهي بلا شك عيب في العمـــل الروائـــي بوجه عام.

وبتأملنا لشخصية هذه الفتاة فإننا نلاحظ أن الأديب حشد كل الصور واستخدم شتى الوسائل، ليثير فينا السخط عليها، ويثير انفعال مثيلاتها ممن يعشن في وضعها ليثرن على واقعهن.

فالكاتب هنا يتعاطف مع المرأة ومع آمالها، وينحاز معها أيضا.

حتى يتسنى لنا دراسة هذه الرواية سيميائيا، لابد لنا أن نتطرق إلى السيميائية "التي حققت قفزة نوعية في دراسة الأشكال السردية بخاصة و التجليات اللسانية وغير اللسانية بعامة، فبسطت نفوذها العلمي على حقول معرفية متنوعة وأظهرت قدرة كبيرة في معانيها و تقصيها بإقامة نماذج تحليلية مبنية أساسا على المنظور الافتراضي الاستنباطي"[1].

1) **لغة:** العلامة مرادفة لكلمة سمة إذ جاء في لسان العرب "لابن منظور: "أن السمة من مادة (س. و . م) والسومة و السيمة و السيماء، العلامة"[2]،و قيل: "الخيل المسومة: هي التي عليها السيما و السومة وهي العلامة"[3].

2) **اصطلاحا:** هو ترتيب العلامات وفق ما يشكل نظاما تواصليا قد ينحو في بعض الأحيان إلى التلميح، ويخفي وراءه رسالة حقيقية يسعى إلى دراستها، علم ظهر حديثا هو علم العلامات المعروف عند الغربيين بمصطلح La sémiotique أو La sémiologie ويعود تاريخ السيميائية إلى ألفي سنة مضت كما يقول أمبياتو (Ampiato)وهو يتكلم عن السيميائية القديمة كما يلي:

إن الرواقيين هم أول من قال بان العلامة (signe) دال ومدلول، أما السيمياء في مفهوم العرب " فقد التصقت أحيانا بعلوم السحر و الطلسمات التي تعتمد أسرار الحروف والرموز، و التخطيطات الدالة، وأحيانا تصبح فرعا من الكيمياء، وأحيانا تلتصق بعلم الدلالة و المنطق وعلم التفسير و التأويل وهذا كله ليس بعيدا عن حقولها المعاصرة"[4].

---

(1) مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول،قراءات ودراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، تالة 1997، ص 19.

(2) العلامة الإمام أبي الفضل ابن منظور: لسان العرب، ج12، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، ص 312.

(3) المصدر نفسه، ص 312.

(4) جماعة من المؤلفين: السيميائية أصولها و قواعدها، ترجمة رشيد مالك، تقديم عزالدين مناصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2004، ص 38.

ومن خلال هذه اللمحة الوجيزة عن السيميائية سنسعى إلى قراءة السيميائية في رواية "ريح الجنوب" و التي نستهلها بسيميائية العنوان الذي يعتبر البوابة الرئيسية لمعرفة ما يجري داخلها من أحداث، ثم ننتقل إلى سيميائية المكان الذي نتعرف من خلاله على مجموعة الدلالات و الإيحاءات التي يؤول إليها، و العلاقة التي تربط شخصيات هذه الرواية.

1) **سميائية العنوان "ريح الجنوب":**

يعتبر العنوان عنصرا مهما في ولوج أغوار النص ويمدنا بزاد ثمين بتفكيكه و معرفة خباياه، فهو العتبة الأولى التي يطؤها القارئ لمعرفة أبعاد وفحوى الرواية، إذ أن العنوان "يحتل الصدارة في الفضاء النصي في العمل الأدبي فيتمتع بأولوية التلقي"[1].

ولتمكن من قراءة هذا العنوان **(ريح الجنوب)** لابد لتطرق ولو بشكل مبسط إلى فحوى الغلاف حيث يعتبر هذا الأخير عنصرا مهما أخر في تدعيم العنوان و توضيح دلالاته، وتفسير معانيه، وتتدرج دراسته ضمن الفضاء النصي، أي دراسة الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها.

فالغلاف إذا هو ذلك التصميم الخارجي الذي يعين بدراسة الملامح العامة للرواية كسلع معروفة في المكتبات.

لو تأملنا غلاف الرواية جيدا لوجدناه يعج بالرموز و الدلالات و الإيحاءات، وذلك من خلال الألوان وعلاقتها بشخصيات الرواية، وكذلك الصورة الموجودة على الغلاف، فهي ترمز إلى صورة امرأة في حالة حيرة و تردد تعيش في جو من الكآبة و اليأس من جهة و رفضها لذلك الجو من جهة أخرى، لذلك هيمنة اللون "البرتقالي" الذي يرمز إلى الغضب و الرفض، النار، الثورة، أما اللون "الأسود" فيدل على الحزن و الكآبة و الأسى و التشاؤم و الدمار والموت، فالبطلة تصور حالة التمزق و القلق و الضياع، وهنا تتجلى

[1] شادية شقروش: سيميائية العنوان في مقام البوح لعبد الله العشي، محاضرات في الملتقى الوطني، السميائية و النص الأدبي: منشورات جامعة بسكرة،7-8 نوفمبر، ص 271.

مأساة الإنسان الذي يعيش في عصر تسود فيه الثورة الإقطاعية و الجهل و الأمية على سكان القرية، ووسط هذا الظلام يتربع "اللون الأبيض" الذي يرمز إلى السلام و الأمل و الإشراق و النور، هو إشعار يتفجر من منبع الدمار، وقد يرمز أيضا إلى الطفولة و البراءة و الظهر و الحياة.أما خلفية الغلاف فتتضمن نبذة موجزة عن حياة الكاتب عبد الحميد بن هدوقة.

فيه نرى ما علاقة العنوان بمضمون الرواية، أو على أي مدى يمكن اعتباره صورة دلالية عن فحوى الرواية؟

للعنوان **(ريح الجنوب)** دلالة رمزية تسهم في إبراز الظواهر الفاعلة في الرواية فقد أولى النقاد اهتماما كبيرا بالعنوان، ذلك انه يحتل الصدارة في الفضاء النصي للنتاج الأدبي، فيتمتع بأولوية التلقي، فمن دون العنوان يكون النص عرضة للذوبان في نصوص أخرى، وعليه فإن العنوان كعلامة تشير إلى النص يصبح أشبه بالهوية أو اللافتة إشهارية، فما هي دلالات عنوان رواية "**ريح الجنوب**"؟

إنه يتكون من كلمتين اسميتين تشكلان معا المبتدأ المحذوف جملة اسمية "فريح" خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، وهو مضاف و "الجنوب" مضاف إليه.

أما في المعنى اللغوي "ريح" جمع رياح و أرياح و هي نسيم الهواء. أو هي هواء المتحرك و المنتقل من منطقة ذات ضغوط عالية إلى منطقة ذات ضغوط منخفضة، وفي دعائنا نقول: "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا". لأن الريح أقوى من الرياح و الحديث مروي عن **جعفر**: ناول رجل ثوبا جديدا فقال: اطوه على راحته أي طيه الأول. و الرياح بالفتح: الراح و هي الخمر وكل خمر رياح و راح، وبذلك علم ألفها منتقلة على ياء.

وقال امرؤ القيس:

" فلما تدلى من أعالي طمية أبسطت له ريح الصباح فتحلبا"[1]

[1] ديوان امرئ القيس: ط3،بيروت-لبنان، سنة 1428هـ - 2007 م، ص 85.

وقال:

" وهبت له ريح بمختلف الصوا صبا وشمال في منازل فقال"[1]

ويمكن القول أيضا: إن "**الريح**" لفظة تسهم في إبراز معاني الانغلاق و الشقاء و المعاناة في البيئة الريفية، ويبرز دلالة الحرمان التي يعانيها الريفيون، و الريح كذلك في عرفنا دلالة على الاضطراب و عدم الاستقرار و العنف و القوة " وطفت كقيمة طبيعية تقف في موجهة طموح الإنسان في البيئة الريفية، وأيضا كقوة تمثل حقيقة الواقع وترسباته المختلفة، وعنف مقاومتها لكل تغير، وإصرارها في فرض وجودها كحقيقة مطلقة تسمو فوق كل تصورات و الأطروحات"[2].

أما لفظة "**الجنوب**" فتوحي برمزيتها إلى منطقة في الشمال. فهذه المنطقة معروف أنها منطقة يسكنها سكان قليلون، وهي منطقة فقيرة أرضها غير خصبة و معظم سكانها غير مثقفين.

إذن لفظة "**الجنوب**" تخالف مباشرة الشمال، أي تأتي عن يمين القبلة، وقال تغلب "الجنوب من الرياح".

- **وقال ابن الأعرابي:** مهب الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا.
- **وقال الأصمعي:** إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح. و إذا جاءت الشمال نشفت

في حين نستطيع القول أيضا إن لفظة "الجنوب" تعني و تدل على المنطقة الساخنة القاحلة العطشاء، وهذا ما برز في هذه الرواية، حيث أن سكان الريف الذي تقطنه نفسية غير مثقفين و غير واعين لحقوق المرأة.

---

[1] امرئ القيس، المصدر السابق ص 140.

[2] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول،قراءات ودراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص 62.

وربما ذلت " **ريح الجنوب**" على انبعاث ثقافة و عادات وتقاليد الجنوب وطبعها في حياة المواطن الريفي. الذي لا يستطيع مخالفة هذه الأعراض و التقاليد، ولا يستطيع التمرد على هذا الانزواء و الانغلاق على الثقافات المفيدة. وهذا ما برز في الرواية: "تحركت ريح الجنوب بكل عنف وانطلق دويها بكل قوة، يهز الدنيا هزا. وأخذت أصواتها في فحيح وصفير، تتجاوب في كل جهة و جانب، باعثة في النفوس الهلع و في القلوب الرعب و الفزع"[1].

ريح الجنوب المنبعثة ساخنة لا تطاق، لا ترحم الإنسان ولا الحيوان، ولا حتى النبات، ولا يستطيع الريفيون صدها، فثقافتهم بسيطة عاجزة عن ذلك.

ونجد في الرواية ربطا وثيقا بين الإنسان و الطبيعة، فالراوي يصف الجو الذي يعيش فيه الإنسان وسط الطبيعة الغاضبة حيث تمثل "ريح الجنوب رمزا لقوة الفكر المهيمن في القرية وعنف السلطة الأبوية وتقاليد الريف التي تدفع الإحساس بالفشل و الإحباط لكل نزعة تغييرية"[2]. وهذا عن دل على شيء إنما يدل على الأحوال الريفية المضطربة وقد مثلت لنا لفظة "**ريح الجنوب**" في الرواية صورة وحش أسطورة يحدث في النفس الهلع و الخوف. بكل ما يحمله من حالات الرعب المتضحة في قول ابن هدوقة: "إنه وراء الخيال يتململ ولا يلبث أن يصل بزئيره وجحيمه ... أخذت أصواتها في فحيح وصفير تتجاوب من كل جهة و جانب باعثة في النفوس الهلع ، وفي القلوب الرعب و الفزع"[3].

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط4،الجزائر،1980، ص 23.

[2] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول، قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة،ص 64.

[3] رواية ريح الجنوب، ص 23.

وهذه صورة واضحة على قوة الطبيعة التي تمارسها على القرية وهيمنتها على كل الأنظمة السائدة فيها.

سميائية المكان:

إن دراسة المكان يختلف من نص إلى نص أخر، و من رواية إلى رواية أخـرى وقد اختلف تعويضه بين الدارسين فمثلا " سيزا قاسم " ترى بأنه : "الإطار الذي تقع فيـه الأحداث"[1]، كما تعتبر الأرضية الصلبة التي تركز عليها هندسة الرواية، ولا يمكـن أن ندرس المكان أو نفهمه بمعزل عن السير، فالمكان "في علاقته بالسير فإنه ينطوي علـى دلالات و معاني يصعب الإحاطة بها في عجالة هذا الموضوع مع البحث"[2]، إذ أن هـذه العلاقة التي تربط بين البشر و المكان لها خصوصية بمثابة ينبوع القيم التي يشكلها كيان الإنسان كالفلاح الذي " يرى الصبر في حبة القمح المدفونة في حبة التراب و في الشـتاء الطويل و انتظار المواسم، ويرى العفوية في هطول المطر و تدفق الماء، و يرى النبـات في ثبوت الفصول، ويرى الحياة و الخلود في الموت"[3]، فهي علاقـة شـديدة التعقـد و العمق، من حيث أنها مجموعة قيم ودلالات يتكون من موجبها الريـف "فيتشـكل علـى أساسها كيان ثقافي، اقتصادي اجتماعي، وميتافيزيقي، يتجاوز الحد الجغرافي و المسـتوى الظاهري للأشياء، وهو ما يجعل هذا المكان مادة ثرية، حيز يدخل في فضـاء التجربـة الشعرية الحديثة في حضورها اللغوي"[4].

---

[1] سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 74.

[2] الأخضر بركة: الريف في الشعر العربي الحديث، قراءة في شعرية المكان، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهـران 2001-2002، ص15.

[3] المرجع نفسه ص 25.

[4] المرجع نفسه ص 26.

وبما أن حركة الشخصيات وعدم ثباتها في مكان معين تجعلها تتفاعل مع المكـــان الذي تدور فيه وهذا ما يجعلها أيضا "تحدد و تصف مجموعة من الأماكن كأفضية دالة في الرواية. انطلاقا من مكوناتها الطبيعية و السوسيو ثقافية و درجة توجيهها للمعنى وإثرائه و قوة رمزيتها"[1]، فمن خلال ذلك سنتطرق إلى فضاء القرية، الفضـــاء الشـــامل الـــذي يحتوي أفضية ثانوية متصلة به كفضاء البيوت و المقبرة و المقهـــى و فضـــاء المدينـــة، وسنحاول الكشف عن دلالة هذه الأفضية ومدى ارتباطها بالشخصيات التي تدور بداخلها، فيا ترى كيف تبدو دلالة المكان وعلاقة الشخصيات به؟

[1] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول. قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة ، ص59

الفضاء / القرية:

تعتبر القرية من الأمكنة المفتوحة المغلقة، وهي فضاء ثابت يفتقر إلى عناصر الحياة، يتحرك بوصفه فاعلا مضادا لرغبة نفسية في الاستراحة، فتتحول من فضاء الحياة إلى فضاء الموت، وصمتها يشبه صوت الأمواج، وضيقها ضيق السجون، ولفظة القرية من أكثر الألفاظ انتشارا في الروايات الجزائرية، وذلك لما تحمله من معاني البؤس و المعانات التي عاشها أهل القرى خاصة إبان الثورة الجزائرية ألف وتسعمائة وأربعة وخمسون ، حيث انعكست هذه الظروف سلبا على أهلها، مما دفع بأدبائنا على اختيار هذا المكان الذي يعج بالمعاني و الدلالات التي لا يمكن لأي روائي أن يغيب عنها، واختيار "بن هدوقة" لهذه اللفظة في هذه الرواية لم يكن اختيارا عبثيا، فهي من بين القرى التي عانت ويلات هذا الاستعمار المدمر، من تهجير و تقتيل و فرض للقوانين الجائرة في أهلها، خاصة النظام الإقطاعي الذي سادها أنداك، وأنسى أهلها حلاوة العيش و سعادته، لتبدو الحياة في هذه القرية مستحيلة نظرا لدرجة التخلف البدائية التي تهيمن عليها في مواجهة الظروف الاجتماعية و البيئية خاصة، باعتبارها جالبة للمعانات، وأكثر ما يتجلى فيها هو هبوب ريح الجنوب، هاته الريح التي تحول القرية إلى لجة من الغبار و اللهب " فإذا تحركت ريح الجنوب فإن القرية المركزية تمثل للزائر الأجنبي مشهدا حزينا يؤلم النفس و النظر تشبه القرى التي تصورها عدسات المصورين بعد النكدات الحربية أو الكوارث الطبيعية ... "[1].

فقد أصبح إيقاع الحياة داخل هذه القرية محكوما وفق نظام معين هو هبوب الريح العنيف الذي تواجه به الطبيعة القرية، فعندما تتحرك هذه الريح على القرية تعيق حركته وتشلها، مما يمنعها من العودة على ما كانت عليه إلا بعد توقفها، لكن هذا العنصر ليس

[1] رواية ريح الجنوب، ص 15.

وحده أساسا لفقر القرية وتعاستها، بل هناك عنصر ساهمة في ذلك كانحباس المطر وهو ما ينعكس سلبا على الفلاحين_ الذي يؤدي إلى انهيار السيول التي تجرف في طريقها "كل ما تصادفه من محاصيل وأرزاق يتصل بها وجود السكان و حياتهم، فحياة الفلاح في هذه القرية المتحالفة ضده الطبيعة و بعض الملاك، وأشد الكوارث الطبيعية هنا الجفاف، السيل، القبلي"[1].

فالقرية تحتل موقعا يجعلها تختفي في هندسة الطبيعة، ويتلاشى حضورها المميز"الذي يفرض نفسه كتجمع سكاني حضري. فعدت جملة من المنازل المتناثرة عدا بعض البيوت و الجامع و المقهى التي تشكل مركز القرية الذي يرتاده السكان، بالإضافة إلى ذلك فإن القرية معزولة عن بقية القرى الأخرى و المسالك المؤدية إليها غير مأمونة"[2]

ولعل ما يشير إلى درجة التخلف و البدائية التي تسيطر على القرية هو الغياب الكلي للعناصر الأساسية التي بموجبها تكون الصناعة والحضارة ليحل محلها.

"الظروف البيئية القاسية الحالية للمعاناة و البؤس ، و أكثر ما تتجلى سطوة الطبيعة في هبوب ريح الجنوب إلى تجسيد في المستوى الدلالي إلى جانبين متلازمين يمثل الأول طغيان القوة الطبيعية و عنفها ، أما الثاني فيعكس تبعية القوية واستسلامها أمام الكوارث التي تحدثها الريح" [3] إذ تبقى القوية تحت رحمة ريح الجنوب التي تغطي وجهها المضيء حتى تهب ريح الشمال لتزيل عنها هذا الغمام و تزرع في النفوس الأمل و الاطمئنان ، و هو ما دفع السكان إلى الحلم بتغيير نمط العيش و الانتقال إلى المدينة ، و

---

[1] المصدر السابق ص 16

[2] مجموع محاضرات الملتقى الأول. قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص 60.

[3] المرجع نفسه، ص 60-61.

لعل هذا النوع من الآفلان من سلطة المكان الذي يتمثل في الانتقال من فضاء إلى فضاء أخر و الخاضع لهذا النظام يكون أمام أمرين:

– إما أن يلغي ذاته ويتبنى في فعله قيما لا يعرف نفسه فيها فيتسم ويدخل في تواصل مع الأخر دفاعا عن قناعته في هذا الإشكال و الصراع، تحتل "**تفيسة**" مرتبة وسطى فهي تحتج احتجاجا محملا برسالة رفض للوضع القائم لأنها لم تستنسخ حضور فورقات جوهرية بين الرجل و المرأة في القرية وغيابها في المدينة، هنا لا تخرج وهناك تخرج...و يبدو" عابدين القاضي مالكا القضاء القوية ومتحكما فيه، وفي المقابل نجد "**تفيسة**" نفسها ملكا لقضاء يعد اختراقه ممنوعا على أساس هذه المعطيات فقد أصبحت القوية ملكا للأشخاص و أصبح الأشخاص ملاكا للقوية، وإن أبعدهم عنها تغيرت أحوالهم النفسية واستحالت حياتهم. كما هو الحال عند "**رابح الراعي**" الذي اعتاد على حياته القروية البسيطة وترعرعه بين أحضان الطبيعة من غابة وأغنام و..... جعلته ينسى لغته ليوظف لغة بديلة للتعبير <<أخد نايه وبدأ يعزف بصوت منخفض لحنا لحزنه ولحنا لحبه هذا الغريب، وكلما مرت اللحظات ازدادت ألحان نايه ارتفاعا وكانت أحيانا ترق حتى تصير هي الحزن ذاته، وأحيانا ترتفع وتشتد فتعنف....>>[1]

فمن خلال ما سبق يتضح أن القرية مجتمع البراءة والبساطة و الصفاء منظورا إليه من موقع غربة الرومانسي في المجتمع المدني (الغربي)، <<ولذا سنجد في معظم الشعر الرومنتيكي الغربي أو العربي أن الريف، لا يلتفت إليه إلا من ذلك الموقع في التجربة (الاغتراب)، مما جعله يأخذ صورة الحيز الطبيعي ، أكثر مما يأخذ صورة الحيز الاجتماعي ، مادام الحلم يغلب على الفكر>>[2].

---

[1] ينظر رواية ريح الجنوب، مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول. قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص 65.

[2] الأخضر بركة: الريف في الشعر العربي الحديث، قراءة في شعرية المكان، ص 81–82.

فالرومانسيون يتمايزون في الطبيعة وذلك من أجل أن يحملوا أكثر ممـــا يختلفـــون فيه، وكذلك لأجل التأمل و التفكير.

وفضاء القرية باعتباره فضاء شامل يحتوي مجموعة من الأفضية التي بموجبهـــا أن تضم الكثير من الدلالات التي تتمحور بداخلها مجموعة من الأشخاص، و منها:

أ) الفضاء / البيوت: يعتبر هذا الفضاء من الأفضية المغلقة، وقد صورها لنا بن هدوقة في هذه الرواية **(ريح الجنوب)** بأسلوب مشوق يلفت انتباه القارئ ويثير فضوله، <<الحجرة ضيقة طولها ثلاثة أمتار وعرضها كذلك، بها كوة خارجية مطلة على جزء من البستان، ارتفاعها سبعون سنتيما وعرضها خمسون سنتيما، وفي هذه المساحة السرير القديم الذي تنام عليه نفسية، وخزانة أشد قدما منه، حيث حقيبتها و أثوابها وكتبها، وقرب الكوة منضدة ومقعد خشبي >>[1]

يصور لنا الراوي في هذا المقطع الغرفة بكل حيثياتها و بدقة متناهية، حيث يبدأ من الكوة المطلة على البستان وتحديد ارتفاعها وعرضها بالضبط، ثم ينتقل إلى الأجزاء الداخلية من سرير "**نفيسة**" والخزانة حيث وصفها بالقدم وغيرها... حيث تتخذ الغرفة مدلولها المتسم بالقبح والباعث بالانقباض ليتعانقا ضديا مع المنظر الخلفي الجميل الباعث على الانشراح، والذي تضفي إليه كوة الحجرة المفتوحة بشكل يتوافق مع ما يريد أن يراه مخطط "**نفيسة**".

ففضاء البيوت <<يشمل الفضاء الإنساني الذي تناوله في هذا القسم، فضاء الإقامة والانتقال، الذي يتصل بصورة مباشرة بحركة الإنسان، وسكونه فيه وما ينتجه من إيحاءات وقيم نابضة بالدلالات المتجلية في الوصف >>[2]

إلا أن هذا الفضاء لا يلبث وأن يتخذ طابع إجباري الإلزامي في نظر شخصياته فيكون مكانا دالا << على موقفها، وعلى حالتها الشعورية، وكذا وجهة نظرها، ويرمز إلى وعيها ولا وعيها، إلى إرادتها و رغبتها، وحلمها و رأيتها إلى باقي الشخصيات، والأشياء في الزمان والمكان>>[3]

---

[1] رواية ريح الجنوب: ص 8.

[2] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول. قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص 75.

[3] ينظر: ريح الجنوب ، المرجع نفسه، ص نفسها.

وفي هذه الرواية تطرق الراوي إلى مختلف بيوت القوية، كدار "**ابن القاضي**" التي وصفها بالغرف الكثيرة وألقى الضوء على نفسه، كما عرفنا على بيت العجوز "**رحمة**" الذي اكتفى بوصف مظهرها الخارجي، أما بيت " **رابح الراعي**" فقد وصفه بالكوخ السود، <<وقد اكتفى الراوي بهذه الإشارات الهيكلية الخارجية، الدالة على المنزلة الاجتماعية، مختصرا بذلك الطريق في إقامة الفكرة التي يولدها التحليل المؤلفاتي analyse comosentiell لتصنيف المدلولات" [1]. وهذا المكان يبقى مجاله محدودا، فالغرفة بالنسبة "**لنفيسة**" هي نوع من العزلة عن العالم الخارجي و الانزواء وسلب لحريتها، فمعظم أوقاتها تقضيها في هذا المكان الذي يشعرها بفقدان إنسانيتها ويؤدي بها إلى الاختناق و التفجر " أكاد أختنق" [2] "أكاد أنفجر ... أكاد أنفجر" [3].

و الغرفة أساسا تعكس حالة الفوضى و التشتت التي تسود القرية لتتخذ الغرفة شكل القرية و تتحول إلى قرية صغيرة، وهي تصور لنا أيضا تلك الحالة النفسية التي تعيشها الفتاة "نفيسة" فكلما أحست بالقلق و المعاناة إلا وكانت الغرفة المكان الوحيد الذي تأوي إليه.

ولهذا كانت الغرفة الجو العام الذي تنعكس فيه الشخصية و تستمد منه مقوماتها و مبررات أفعالها، و الوصف هذا خلاف يسهم في نمو وتطور الحدث السردي.

---

[1] ينظر ريح الجنوب ، المرجع السابق ص 76.

[2] رواية ريح الجنوب: ص 8.

[3] المصدر نفسه ص 10.

ب) الفضاء / المقهى: هو فضاء مفتوح تسوده علاقات التواصل وهو من الأمكنة الأكثر استقطابا للناس بجميع انشغالاتهم و مشكلاتهم، حيث يسعى صاحب المقهى إلى كسب الزبائن وخلق جو من الحيوية و السهر، سواء أكان ذلك في ليالي الصيف الحارة أم كان في ليالي الشتاء الطويلة الباردة، فهو مكان يحتضن أنماطا مختلفة من الناس الذين يعانون الفراغ النفسي، و البطالين و الذين يعانون حالات التأزم الفكري للمجتمع فابن هدوقة في هذه الرواية، بدأ وصفه لهذا المكان بتصوير المظهر الداخلي الذي يصور الحالة الاجتماعية لأهل القرية وطبيعة اهتمامهم ونسف الحياة التي يؤذونها " إنه مكان مؤول بما احتواه من جغرافية مموهة بالأفكار"[1].

فمثلا دلالة لاعبي الدومينو " الذين يفترشون أحصرة الحلفاء يشير إلى طبيعة اهتمامهم الأساسي، وإذا عرفنا أن هذه اللعبة تمارس باستمرار، وتحدث بسببها مناوشات تصل إلى قناعة مؤداها"[2]، وهو ما يؤدي بفضاء المقهى إلى أن يتحول إلى فضاء يكرس البطالة كما يكرس الكسل و الخمول بعد أن كان يؤدي وظيفة سامية تحث على النشاط و العمل، مما أدى إلى إحداث نوع من النمو الفكري البطيء.

لكن المقهى يبقى بمثابة نقطة اللقاء الوحيدة للشخصيات داخل هذه الرواية "فمالك" لا يدخل المقهى إلا بغرض الحصول على معلومات و أخبار تخص أصحاب القرية و انشغالاتهم، وكذلك الحال أيضا بالنسبة للراعي "**رابح**"، حيث يعتبر المقهى جوه الخالق الذي يلاءم طبيعته، و "**ابن القاضي**" يعتبر المقهى مجرد قضاء لمصلحته، إنه لا يذهب

---

(1) المصدر السابق، ص 31.

(2) مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول. قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص 66-67

هناك، إلا إذا أحس بحاجة في قضاء حوائجه أو لقاء شخص يستطيع أن يخدمه أو يخـــدم مصالحه.

ومن هنا يتضح أن المقهى مكان لا يلاءم الشخصيات ذات المستوى العالي و التي تمثل رؤية ناضجة إنما هو فضاء دائم لبقية السكان الذين تعكس مناقشاتهم الطابع الفكري السائد لا يتعدى التعليق عن أحداث دون الإسهام فيها.

4) الفضاء المقبرة:

إن المقبرة من الأفضية النفسية " يحفل بدلالات مختلفة تتوحد في سياق أساسي يعكس مدى حضور الماضي في نفوس السكان، وعلاقتهم ببيئتهم، فالمقبرة تحتل أحسن موقع في القرية و الطريقة الموصلة إليها لا يكثر فيها الصعود و الهبوط"[1].

وقد أولى السكان أهمية كبرى بهذا المكان الذي يعتبر الجسر الرابط بين الماضي و الحاضر، فهو الطريق إلى الذاكرة، وإلى عاداتهم وتقاليدهم، وهو الأمر الذي أذى بهم إلى بناء مقبرة الشهداء بدل إنشائهم المدرسة، فهو موقف "يتجاوز المعنى المباشر ليرقى بها إلى مستوى الدلالة الفكرية، فالسكان متفقون على تمجيد الجوانب المشرقة من ماضيهم لكنهم يختلفون في الصورة التي سيكون عليها المستقبل"[2].

فلقد أصبح فضاء المقبرة لديهم بمثابة مكان استحضار وتذكر أهم اللحظات و الوقائع التي لا يجب أن تغيب عن ذاكرة كل فرد من أفراد القرية، فهو استحضار للحظات الماضي و أمانيه و حنينه الذي طالما حلموا بالرجوع إليه، "وحنين و تعويض عن الواقع البائس و "**خيرة**" تستدعي ماضيها البعيد من خلال قبر أمها وتقارن بين علاقتها بأمها، حيث كانت ترى الحياة و الأشياء من خلال زاوية نظر أمها ... تحب من تحب و تكره من تكره، وتفرح لفرحها و تبكي لبكائها"، وعلى عكس الوضع الذي تعيشه مع ابنتها "**نفيسة**" التي لا تأبه لأمها ولا بما تفكر فيه.

---

[1] مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول، قراءات ودراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة،ص67.

[2] المرجع نفسه،ص68.

بينما العجوز "**رحمة**" تتردد على زيارة قبر زوجها الذي مر على وفاته حوالي عشرون سنة "فالعجوز "**رحمة**" تحاور زوجها في القبر وتطلعه لكل مستجدات القرية وعن مشاريعها الخاصة في صناعة أوانيها"[3].

بينما "مالك" تختلف زيارته للمقبرة عن باقي الزيارات الأخرى، إذ كانت علاقته بالمقبرة مرتبطة بقبر "**زليخة**" خطيبته السابقة التي استشهدت إثر حادث قطار يحسسه بالذنب، وتأنيب الضمير لأنه يفكر في أنه المسؤول عن وفاتها.

يفضي بنا ما تقدم على صياغة إشكالية قراءة المكان من منظور أخر أساس مسافة النظر التي تعني أولا العلاقة الإبداعية _التحويلية_ بين الذات و العالم و التي يتخذ النص المكاني _الريفي_ على أساسها بنية نموذجية معينة، ونعني ثانيا علاقة القارئ بالنص المسافة الجمالية الواقعة بين أفق انتظار القارئ و أفق النص، وهناك تتولد عنها بنية مكانية يمكنها تجاوز البنية الأصلية للنص من حيث أنها تعتبر إعادة تشكيل وصياغة و إضافة و اكتشاف.

كما يمكن القول أيضا إن مسافة النظر إلى العالم من قبل المبدع ينتج عنها النص و مسافة النظر إلى النص من قبل القارئ ينتج عنها نص القراءة. و البعد الأساسي و الجوهري الذي يجعل من كلا النصين إبداعا هو الانفصال عما هو سطح للاتصال بما هو عمق.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

يعتبر الريف نقطة مهمة يمكن لكل دارس أن يقف عندها فهو" بمثابة النواة المكانية التي تهب للدفاع عن نفسها حين يحدث الاغتصاب، إنها النواة التي تمثل روح الكيان المجازي الذي لا يتطابق بالضرورة مع الحدود الفعلية للمكان"[1]

فالريف هو المادة الأولى لتشكيل المكان المغلق **(القرية)** خلال جدله مع المكان المفتوح **(المدينة)** إنه عالم الريف الذي يتوحد فيه الإنسان بالطبيعة وهو أيضا عالم ينتجه النص، عالم جمالي منفصل عن الواقع الفيزيائي، فالمكان الريفي له نكهة تلمس "بقوة في الكلمات التي شبهها باشلار بالقواقع المليئة بضجيج الإيحاء"[2].

لكن الريف في مفهوم كثير من الناس إن لم نقل في مفهوم الأغلبية هو ذلك الفضاء الواسع الرحب الهادئ، و الهواء النقي، كما أنه يرمز إلى التحفظ و الاحترام إن لم نقل إلى الأخلاق العالية و الحميدة، و في مقابل ذلك هو مظهر من مظاهر التخلق واللاثقافة و المعاناة والشقاء.

لكن إذا صرفنا النظر _بصفة عامة_ إلى الريف الجزائري لوجدناه لا يقل مفهوما عن بقية أرياف بلدان العالم الأخرى، غلا أنه يبقى من بين الأماكن التي شهدت ويلات العقاب و الصعوبات خاصة أثناء و بعد الثورة الجزائرية الكبرى، و التي انعكست سلبا على أهل الأرياف وأذاقتهم مرارة العيش وسلبت منهم آمالهم و آمالهم مما جعل أغلب الروائيين الجزائريين قد أولوا أهمية خاصة لهذا المكان باعتباره الأساس في بناء المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية، ومن ثم كانت معظم الأحداث الروائية تدور في الريف وحول آفاقه المستقبلية"[3].

---

[1] الأخضر بركة، الريف في الشعر العربي الحديث،دار الغرب للنشر والتوزيع،2002/2001، ص107.

[2] ينظر، غاستون باشلار: جماليات المكان: الأخضر بركة، الريف في الشعر العربي الحديث، ص91.

[3] مجموع محاضرات الملتقى الدولي الرابع ،عبد الحميد بن هدوقة للرواية،بحوث وأعمال وزارة الاتصال والثقافة،ولاية برج بوعريريج، ص 9.

رواية "**ريح الجنوب**" التي بين أيدينا عالجت هذا الموضوع بشكل مبسط، حيث تبعت أحوال قرية من القرى الجزائرية حيث أعطى لنا بن هدوقة صورة واضحة عنها تعكس صورة الريف الجزائري _بصفة عامة_ في نواحي متعددة.

سنحاول ولو بشكل بسيط أن نتطرق إلى ريف هذه القرية المحصور في مجموعة من القيم التي تعكس طبيعة العلاقة النوعية التي تربط البشر بالتراب و التي تأخذ في ضوء الدراسات الاجتماعية الحديثة مستويات عدة" كالمستوى العقائدي و المستوى الاجتماعي و المستوى التاريخي.

1) اجتماعيا:

لقد ساد نمط المعيشة الريفي في المجتمع العربي مند عهود قديمة وارتبطت حياة أهل الريف بالأرض، فتمحورت حول الحقل و البيت أو العائلة و الساحات العامة، و العلاقات الشخصية الوثيقة واستنبطت قيم الخصب و الصبر و الأخوة، و ابن هدوقة في هذه الرواية أحصى لنا عادات وتقاليد هذه القرية ونمط معيشتها الاجتماعي إذ تعددت و تنوعتن لكن تمحورت على رأسها فكرة رئيسية تتضمن تغيير الوضع الاجتماعي و الظروف الحياتية اليومية هذا من جهة و من جهة أخرى الحفاظ على الأوضاع كما هي لضمان استمرار النفوذ و حماية المصالح، وهو ما يلاح في الإقطاعي ابن القاضي إذ أن "السبب الذي دفع **'ابن القاضي'** للعمل على تزويج ابنته **'نفيسة'** من **'مالك'** هو محاولته الحفاظ على أراضيه من التأميم، وتسلسلت بقية الوقائع في الرواية انطلاقا من هذا الغرض الجوهري"[1].

فالحياة الاجتماعية بالقرية كابوس يخيم على صدرها، ويقلم رؤيتها للمستقبل إذ أن البيئة الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع منسجمة إلى حد بعيد مع طبيعة البيئة الخارجية، من جبال وربى و هضاب وأرض بور غير صالحة للزراعة، فانكفأت على ذاتها وقطعت الصلة بالعالم الخارجي، وأصبح كل شيء فيها مرتبط بالطبيعة التي تحتضنها فهناك صوت الريح، وصوت الرعد، وأصوات الحيوانات الأليفة، وغيرها وكلها أصوات من الطبيعة وهي دليل على درجة التخلف و البدائية التي تهيمن على المجتمع في مواجهة الظروف القاسية الجالبة للمعاناة و البؤس، إذ أن حياة السكان ليس فيها ما يبتعد عن الطبيعة، فأنت لا تستطيع أن تحصي حاجاتهم، ولكنك تستطيع أن تعد أفكارهم ولعل من

[1] الدكتور عمر عيلان: الإيديولوجيا و بنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دراسة سوسيو بنائية، دار النشر "الفضاء الحر" الجزائر، مطابع بغداد سبتمبر 2008، ص 241.

أبرز المؤشرات السائدة في هذا الوضع عامل العزلة و الانطواء الذي مهد للانكفاء على الذات وفقد الصلة بالمحيط الخارجي، وإتاحة المجال لجملة من القيم و المفاهيم المسايرة لسذاجة الفكر وبساطته، و الناجمة عن انتشار الأمية و الجهل بحقائق العلم و التطور الحضاري، فسكان قرية "**ريح الجنوب**" عندما قرروا بناء المقبرة بدل المدرسة إنما يعكسون نظرتهم على التعليم و التعلم، ويغيرونه من نصيب الضعفاء الذين لا يصلحون لخدمة الأرض "لأن تعلم المهارات المرتبطة بالفضاء الحيوي الريفي تقتضي في نظر الفئات المهمشة و المعزولة، الدربة و الممارسة ولا حاجة لتعلم القراءة و الكتابة لتمكين التواصل المعرفي من الانتقال عبرها"[1].

وهذا يعني أيضا ما نلحظه من خلال الكلام الذي دار بين "**تفيسة**" و العجوز "**رحمة**" إذ تكلمت هذه الأخيرة مؤكدة على أفضلية التعلم اليدوي "لعل كل من يقرأ يفكر أن التعلم يكفي بالكلام لو كان ذلك ممكنا لما تشققت أصابعي من الطين"[2]، إنها قيمة فكرية نابعة من تفاعل عميق مع البيئة و الطبيعة الريفية وذوبان تام في خصوصيتها، ولعل انعدام وسائل التواصل المعرفي دفعت السكان لإنتاج مفاهيم تقليدية بدائية في التعامل مع وسطهم الريفي، فبقيت هذه الجماعات "حبيسة السير البطيء المنجذب بقوة على الماضي المنكفئ على قيم سوسيوثقافية متوازنة"[3]، فهي تنسجم إلى حد بعيد مع سكونية ورتابة الحياة في البيئة الريفية و التي لا يمكن تغيرها وتجديد مساراتها.

فهذا الجو الاجتماعي المتميز بالتدهور و التراجع خلق بالمقابل نزعة هروبية تحاول التملص منه سواء بدافع تغيره أو الإفلات من قبضته، فتخلفت أفضية فردية تشكل خانات مستقبلية داخل الفضاء الاجتماعي.

---

[1] الدكتور عمر عيلان، المرجع السابق، ص 253-254.

[2] رواية ريح الجنوب، ص 34.

[3] الدكتور عمر عيلان: الإيديولوجيات و بنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، ص 255.

و من المظاهر البارزة أيضا في ريف " ريح الجنوب " الفقر الناجم عن انحباس المطر و ما ينعكس من جرائه عن الفلاحين من ضياع وحرمان، أو انهيار السيول التي تجرف في طريقها كل ما تصادفه من محاصيل و أرزاق يتصل به وجود السكان و حياتهم، فهذه الأزمات و الصعوبات داخل المجتمع دفعت إلى النزوع للهيمنة، وسيطرة روح النظرة الأنانية و التسلط، بالإضافة إلى نزعة أفرد لا يحبذون المشاركة في الحياة الاجتماعية، لضعف الوعي لديهم بحاجتهم إلى الأخر، مما يدفعهم إلى الإلحاح تبجيل مصالحهم الخاصة.

إن رواية "ريح الجنوب" وضعت أمام القارئ صورة جلية عن مجتمع هذه القرية، ليس بما يطرأ عليها من تغيرات طبيعية، ولكن بكل ما فيها من صراعات بين الأفراد و علاقتهم فيما بينهم كيف لا و النقاد أجمعوا على "أن الرواية هي عبارة عن مجموعة من الأحداث تحركها شخصيات وتحكمها مجموعة من العلاقات في روابط سردية بإمكانها أن تكشف جوانب أيديولوجية"[1]، هذه الجوانب قد تكون غنية أهم القيم و المبادئ الاجتماعية.

[1] مجموع محاضرات الملتقى الدولي الرابع ،عبد الحميد بن هدوقة للرواية، ، ص207.

2) دينيا:

إن الأرض هي أم القيم في حياة الفلاح "إنها جذوره و مقوه الأخير، وانبعاثه، حتى أن علماء الأنثربولوجيا يرون أن الفكرة الدينية "البعث مستمدة في أصلها من حياة الفرد الزراعية"[1]، إذ يستمد هويته وعقيدته من الأرض التي يعيش فوقها، كيف لا وهو يتربى في حضنها وتتربى على يديه، إن بينهما ما يشبه الارتباط الصوفي، فهي مورده ومقره الأخير وانبعاثه، ومجتمع رواية "**ريح الجنوب**" برزت فيه عدة بصمات دينية و التي تثبت عقائدية الإنسان الريفي، وتمسكها بها، فابن هدوقة هنا وضع لنا صورة واضحة عن هذا المجتمع و الذي يعكس بقية المجتمعات الريفية الأخرى، بكل أوضاعها وطبائعها الدينية إذ يبدو مجتمعا عقائديا بالدرجة الأولى ويبرز ذلك من خلال أقوالهم وأفعالهم، فنصيحة الأم "**خيرة**" لابنتها بالصلاة دليل على تدينها وحرصها على أداء فرائضها الدينية "لو كنت تصلين يا **نفيسة** لما شعرت بهذا الضيق ..."[2]وهذا يؤول حتما إلى ثقتها الكبيرة في هذه الفريضة التي بإمكانها أن تزيل الضيق و القلق ليحل محله الطمأنينة و الراحة مثلها مثل بقية الفرائض الأخرى، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى هناك زيارة المقابر التي تعتبر أيضا من بين مظاهر تدين هذا المجتمع، إذ يذكره هذا الفعل بأمواتهم " ... إن اليوم جمعة، لابد من زيارة موتانا"[3]، فهو الطريق إلى الذاكرة و تذكر الماضي و الأيام السعيدة التي يسودها الأمن و الاستقرار "ليس يداي هما اللتان لم تهتديا إلى صنع ما أريد، إنما هو عقلي الذي لم يجد الصورة التي تطابق إحساسي...أحب أن أصنع أواني إذا رأيتها من بعيد لا تفرق بينها وبين الأواني

---

(1) الأخضر بركة : الريف في الشعر لعربي الحديث، قراءة في شعرية المكان، ص21.

(2) رواية ريح الجنوب ، ص 21.

(3) المصدر نفسه، ص12.

القديمة"[1] ، إنها صورة تركيبية واضحة عن الحنين و الاشتياق إلى الماضي، فزيارة المقابر من أفعال الإيمان الصادق الذي يقرب من المولى عز وجل، وتذكر بالآخرة و أهوالها.

كما أن التلاوة الجماعية التي كانوا يرددونها و المدائح الدينية " الحمد لله رافع مقام المنتصبين، لنفع العيد ، الخافضين جناحهم للمستفيد، ..."[2].

إنه مجتمع متدين مؤمن بقضاء الله وقدره، فمن الله ما أعطى و لله ما أخذ، و الموت شيء حتمي مقدر من الله على كل إنسان فلا مفر منه "مند أن كانت الدنيا كان الموت وكانت الحياة، فلو أوقف الناس قلوبهم عند موتاهم الأعزاء لتوقفت الحياة" [3].

فعلى العموم القيم و الأفكار العقائدية واضحة وجلية و السكان لا يزالون مهتمين بها ويحاولون جاهدين في سبيل بعثها و إحيائها.

إن وجود هذه الجوانب التي تؤكد تدين هذا المجتمع لا ينبغي وجود بعض الخرافات و الاعتقادات الخاطئة التي لا يزال البعض يؤمن بها، كاعتقادهم بأن الأموات يسمعون الأحياء عندما يحاكونهم كما تفعل "**خيرة**" و العجوز "**رحمة**" عند زيارته للمقابر، فهذه الأخيرة مثلا عند زيارة قبر زوجها تخبره بكل ما تفعله وتصنعه من أواني فخارية، ضف إلى ذلك أن القهوة يسمونها بـ "الشاذلية" نسبة إلى الشاذلية بنت الحسن الشاذلي، اعتقادا منهم أن الحسن الشاذلي هو الذي اهتدى وعرف سرها، وهو الذي عرف الناس بها، وهو أول من شربها، لكنها كلها اعتقادات خاطئة، فهي تقرب أن تكون أساطير وخرافات آمن الشعب بها وأعطى لها حياة ووجود لا يقبل النقاش، ليس هذا فحس بل هم يعتقدون أيضا أن الجن تساكنهم و تراقب حركاتهم وسكناتهم وأنها لا تصيب الإنسان إلا

---

[1] المصدر نفسه، ص22.

[2] رواية ريح الجنوب، ص 185-186.

[3] المصدر نفسه، ص61.

وهو يغتسل عند الغروب أو في الليل، فهاته القناعة المتمكنة في القرية تعود إلى عنصر العزلة الذي أثر بشكل جلي في مجتمع القرية ووسم نمط الحياة فيها بطابع بدائي.

3) تاريخيا:

إن الثورة الزراعية أو ما يعرف "بالإقطاعية" مرحلة لنظام اقتصادي و اجتماعي ظهر بادئ الأمر في أوربا، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الدول الأخرى لتمس بالخصوص الدول العربية التي من بينها "الجزائر" التي عاشت ويلات الاحتلال الفرنسي من تفكيك للبنية القبلية، وإسكان الشعب الجزائري داخل مناطق وأراضي فقيرة، لتتحول ملكية الأراضي إلى المعمرين، و السيطرة على الأماكن الخصبة.

إن هذا الأمر أصبح نقطة سوداء في نفوس الجزائريين وتفكيرهم، مما دفع بأغلب الكتاب و الروائيين إلى التعرض لهذا الموضوع باعتباره يمس الوطن بأكمله وهو ما دفع بابن هدوقة إلى تجسيد هذه الظاهرة في أغلب رواياته ومن بينها الرواية التي بين أيدينا "ريح الجنوب" التي رصدت بعض خصائص الإقطاعية السائدة في قرية من القرى الجزائرية، حيث مست علاقات الإنتاج في الريف على محورين " يتمثل المحور الأول في الالتفات حول القوانين الخاصة بالإصلاح الزراعي وعرقلة تجسيدها، أو التحايل و التهرب لإفشالها، أما الجبهة الثانية فتتميز بفتح مواجهة نظرية، ومجادلة فكرية مع أنصار الجديد و دعاته، و الذين تحدوهم رغبة في إصلاح الأوضاع الاجتماعية في الريف الجزائري وكلها تدور حول خدمة المصالح وتحقيق النفعية الفردية.

فعابد **بن القاضي** مثلا تمثل له علاقته مع محيطه و المتعاملين معه وبالخصوص "**مالك**" شيخ البلدية خدمة مصالحه و التحايل على قانون التأميم و الحفاظ على ممتلكاته، وهو ما دفعه إلى إقامة الولائم للسكان و إبداء الوجه المهتم المنشغل بمعاناتهم. وحضوره كذلك في حفل تدشين مقبرة الشهداء كل ذلك من أجل إقناعهم بالارتباط بالقيم الوطنية و

الاهتمام لها " فيسمو في نظر سكان القرية ويتمكن من مقاومة بداية الاهتزاز الذي يحس به بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي"[1].

وقبول "**ابن القاضي**" زواج ابنته "**زليخة**" من شيخ البلدية خلال الثورة التحريرية ليكسب تعاطف الثوار، فهو دائما يتظاهر بمساعدته لهم ويدفع لهم أحيانا بعض المال لكنه لم ينجح في فكرته وذلك بوفاة ابنته، لكن قد استمر هذا الأمر ليحييه من جديد من خلال ابنته "**نفيسة**" فهي لا تشكل لأبيها " هما إنسانيا بقدر ما تشكل جزءا من جزئيات ملكيته الطويلة العريضة التي يمتلك حياتها كافة الصلاحيات ويتصرف فيها كما يحلو له"[2]، فهذا هو الحل بالنسبة له ولا يوجد حل أنسب من ابنته لأن "الأبناء هم الحل"[3].

ومن جهة أخرى اقتنع "مالك" بأن التغيير لا يتحقق إلى بالتضحيات، كما اقتنع الإقطاعي "ابن القاضي" لا يمكن له أن يكون صادقا في مواقفه اتجاه الثورة، ولا يستطيع سوى أن يكون رمزا من رموز الاستغلال و النفعية، فهو لا يجد مناسبة إلا وعمل على رصد أفكاره ومناقشتها مباشرة. فمالك يمثل المناضل من أجل القضية الوطنية" ربط النظرية بالممارسة من خلال مساهمته الفعلية في الحرب التحريرية التي أصيب خلالها بجروح خطيرة أقعدته مدة ستة أشهر"[4]، ورغم ذلك بقي حبيسا لأفكار يتعامل معها بشكل عاطفي، ليجسد حلمه النظري عن مجتمعه دون تفاوت طبقي صارخ، فيصل ما انقطع من الخط الثوري الذي بدأه في أول الأمر.

---

[1] رواية ريح الجنوب، ص 86.

[2] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1986، ص387.

[3] رواية ريح الجنوب، ص48.

[4] المصدر نفسه، ص 54.

وقد استطاع الروائي الجزائري أن يرسم العوالم الفنية المختلفة التي كانت تختلج في صدر هذه الطبقة،والتي يمثلها أحسن تمثيل بعض شخصيات هذه الرواية ك"**ابن القاضي**"،فابن هدوقة هنا أدان الإقطاع واعتبره الوجه الثاني للاستعمار"وذلك تماشيا مع المد الثوري العربي الذي أخذ على عاتقه زعزعة جذور هذا النظام لما ينتج عنه من تخلف ورجعية"[1]،حيث اتخذ ابن القاضي صراع ينحصر حول إمكانية تضليل الحكومة التي كانت قد عزمت على تأميم كل الأراضي الزراعية الفائضة عن احتجاجات ملاكها،ثم توزيعها على صغار الفلاحين والخماسين والرعاة، مستعملا في ذلك كل الحيل والمساومات،وكان من أهم وسائله في ذلك ابنته الوحيدة "**نفيسة**" و"**مالك**" شيخ البلدية.

فالأحداث التاريخية تمثلت في صراع ينمو ومصالح تتضارب وستبقى الطبقة الإقطاعية بمواقفها السلبية في الركنين الأساسيين من حياتها،الماضي بمآسيه ومجازره وخياناته،والحاضر بمراوغاته وحيله،تحمل داخل نفسها انتماء مريضا ضد بقية الطبقات الاجتماعية الأخرى ،إذ جعل الروائي هذه الطبقة تنظر"إلى واقع الاستقلال برؤية الفكر الإقطاعي والذي تسبب في انعزاله طبقيا وروحيا داخل قصور فخمة،حاميا نفسه بقشور دينية مزورة،يأباها الدين الإسلامي ويحاربها"[2] وتبقى هذه الأحداث التاريخية وخاصة النظام الإقطاعي،كمرجعية لكثير من الأدباء -وبصفة خاصة- المهتمين بفن الرواية.

---

[1] بشير بويجرة محمد: الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1970-1983، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص16

يفضي بنا ما تقدّم في هذه الدراسة أنّ عبد الحميد بن هدوقة أنتج لنا رواية صنفت من أهم الرّوايات الرائدة في الأدب الجزائري،إنها رواية"ريح الجنوب" التي نالت مكانة عالمية مرموقة إذ ترجمت إلى عدة لغات منها: الاسبانية والفرنسية والألمانية وغيرها،إضافة إلى ترجمتها إلى فيلم سينمائي لتنال شهرة أكبر.

لقد منحتنا هذه الرواية التي اعتبرها واسيني الأعرج رائعة بالنسبة لابن تدوفة بما أضافته من إنجازات فنية إلى النتاج الجزائري الفكري والى الواقعة الإنتقادية عملا جادا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فرصة الاطلاع على ما تحمله من أفكار ودلالات بالدرجة الأولى،لتدفعنا هذه الأخرى إلى دراسة نرجو أن تكون شاملة لمضمونها بالدرجة الثانية.

فعبد الحميد بن هدوقة تميز عن باقي الروائيين الجزائريين سواء أكان ذلك في أسلوبه القصصي أم الروائي أم في نظرته إلى الأدب أو حتى في مكانته الأدبية بصفة عامة ،والروائية بصفة خاصة وخير دليل على ذلك الرواية التي بين أيدينا.

وما نستطيع أن نقوله أيضا إن السميائية منهج ذا أهمية كبيرة في تحليل النصوص، وتطبيقه على هذه الرواية أعطى إمكانية الولوج في أغوارها وفك مختلف شفراتها وما تحمله من غموض واغتراب،كما أعطانا دلالة واضحة عن مختلف شخوص الرواية وأهم الأمكنة التي تتمحور بداخلها هذه الشخوص،ومما لا شكّ فيه أن هذه الأخيرة تربطها علاقة وطيدة بهذه الأماكن التي تدور فيها وهو ما أذى بنا إلى كشف هذه العلاقة التي كانت سببا في الصراع المتبادل بين شخصيات الرواية ،و كان لهذا الصراع سبب مباشر وجلي أذى إلى عرقلة الحياة الفردية والاجتماعية للسكان،إنّه النظام الإقطاعي أو قانون الإصلاح الزراعي سمّه كما شئت لكن العقبات كانت وخيمة على مختلف الأصعدة(الاجتماعية،الدينية،السياسية،...) .

وفي الأخير نقول : إن هذه الدراسة رغم بساطتها إلا أننا نرجو أن تكون مساهمة جادة في إيصال مغزى واضح عن صورة الريف في رواية"ريح الجنوب" والتي نحصرها في النقاط التالية:

* هبوب ريح الجنوب(القبلي) على القرية.

* حب الأرض الذي أدى إلى حب التملك.

* الحفاظ على العادات والتقاليد.

* سيطرة النظام الإقطاعي على الحياة الريفية.

* الإيمان بالخرافات والمعتقدات.

* لعلاقة الوطيدة بين سكان القرية(العجوز رحمة وخيرة)

* انتشار الجهل والأمية (الراعي رابح)،...

أ) المصادر:

1- عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائرط1980.4

2- العلامة الإمام أبي الفضل بن منظور، لسان العرب،ج12،دار صادر، بيروت،ط1994.3

3- ديوان امرئ القيس، ط3،سنة1428ه-2007م،بيروت- لبنان.

ب) المراجع:

1- قراءات ودراسات في أدب عبد الحميد بن هدوقة،مجموع محاضرات الملتقى الوطني الأول، إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، تالة.1997

2- جماعة من المؤلفين،السيميائية أصولها وقواعدها،ترجمة رشيد بن مالك،تقديم عز الدين مناصرة،منشورات الاختلاف،الجزائر،2004.

3- شادية شقروش،سيميائية العنوان في مقام البوح لعبد الله العشي،محاضرات الملتقى الوطني السيميائية والنص الأدبي،منشورات جامعة بسكرة.

4- سيزا أحمد قاس،بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب.1984

5- الأخضر بركة،الريف في الشعر العربي الحديث،قراءة في شعرية المكان،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران.2001-2002.

6- مجموع محاضرات الملتقى الوطني الثاني، قراءات ودراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة،إعداد مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج.

7- كتاب الملتقى الثالث،عبد الحميد بن هدوقة،أعمال وبحوث وزارة الاتصال والثقافة،ولاية برج بوعريريج.

8- كتاب الملتقى الدولي الرابع،عبد الحميد بن هدوقة،بحوث وأعمال وزارة الاتصال والثقافة، ولاية برج بوعريريج.

9- كتاب الملتقى الخامس،عبد الحميد بن هدوقة،أعمال وبحوث وزارة الاتصال والثقافة،ولاية برج بوعريريج

10- عبد الحميد بن هدوقة،أمثال جزائرية،الجزائر،.1993

11- بشير بويجرة محمد،الشخصية في الرواية الجزائرية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1970-1983.

12- الدكتور عمر عيلان،الاديولوجية وبنيه الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة،دراسة سوسيوبنائية،دار النشر الفضاء الحر

13- كتاب في جريدة،عدد رقم115،الطابق السادس،شارع سوزان،الروشة بيروت.

14-عبد المالك مرتاض،القصة الجزائرية المعاصرة،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،وحدة الرغاية،الجزائر،1990.

15-واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1,1986.

ج) الإنترنيت:

rihablkalima.cultur form.net,743.topic.